

19

أحداث مصرية للحب

خمسة منهم !

التي تاريا



www.helmelarab.net



مقدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئاً من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأى مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة

ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسياً محترماً ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة... إلى درجة جعلها فريدة من نوعها ..

وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر

الثرى الوسيم - والأهم من هذا - العبقري .. وكان

(شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جداً ولا تملك

أى ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع

الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع

ثقافة المراء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات

متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيراً جداً .. ولأن عقلها مزدهم

بإبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة
صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن

مع تحويل بسيط : إنها ستكون جزءاً متفاعلاً فى كل

قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع

(طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن

(نيلو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها

حقاً .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فار تجاربه

معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) ..

ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها

(المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال

التي صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها

الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من برائن الواقع .. وكل

الوجوه التى لا تتغير ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءاً
منه .. لكن هذا في مقدورنا الآن ..
لسوف نرحل جميعاً مع (عبير) إلى (فانتازيا) ..
نضع حاجياتنا وهمومنا في القطار الذاهب إلى هناك ..
هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات
بدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

١ - فانتازيا من جديد ..

من جديد سافرت (عبير) إلى أرض (فانتازيا)
التي لم تعرف سواها وطناً ولا أرضاً .. من جديد
جلست إلى الجهاز ، بعد ما اطمأنت إلى أن الوليد قد
نام ، والأمور هادئة ، ولم يعد ما يمنعها من الاستمتاع
بجرعة أخرى من عالم الخيال المترامي ؛ الذي هو
حق لكل من يعرف كيف يحلم ..

كالعادة في الآونة الأخيرة ، كان الانتقال سلساً
سهلاً ، ولم تدخل في دوامة أضغاث الأحلام
الهستيرية ، وتصادم أمواج الذكريات ..

في لحظة كانت هنا ، وفي الثانية كانت هناك ..
وها هو ذا (المرشد) يقف بجوار قطار (فانتازيا)
المضحك الصغير كالعاب الأطفال ، يبتسم في سماجة
كعائته ، ويداعب زنبرك قلمه دون انقطاع ..

كان واقفاً يثرثر مع كهمل ملتج مخيف النظرات ،

ويرتدى بذلة سوداء لا تمت لعصرنا بصلة ، وأدركت
(عبير) أن الكهل كان يتكلم الروسية .. حيثه فى
فتور من لا يعرف من يكنمه ، فهز رأسه بدوره
وابتسم ..

أشار لها (المرشد) كى تدنو أكثر ، وقال :

« تلك تلك ! هذا هو جسدان (دستوفسكى) ..

إته .. »

قاطعه غير فاهمة :

« جسدانين ؟ خسبت اسمه (فيولور) أو .. »

« جسدانين معناها (السيد) بالروسية .. كما

نستعمل القاب (مستر) و (ميسيو) و (هر) فى

اللغات الأخرى .. كنت أقول إن السيد (دستوفسكى)

يدعونا لزيارة عالمه فى القصة القادمة .. »

« وهل هذا مفر ؟ »

« تلك تلك ! من للتاحية الأنبية هو مفر ، لكن

من للتاحية الترفهية هو عرض لا معنى له .. هذا الرجل

يدعونا إلى عالم من العقد النفسية والصرع والعلاقات

الأسرية المنسوخة ، ويتوقع من أن تستمتعى بهذا كله .. »

« أعوذ بالله ! كان هذا ينقصنى »

« لكنه يقدمه ببراعة قلما قرأناها لدى أنيب آخر ..

إن (دستوفسكى) ببساطة هو الأعظم .. مرهق حقاً

قاتم حقاً ، لكنه عبقرى .. فهل تقبلين العرض ؟ »

« طبعاً لا .. يوم أعمل فى رسالة دكتوراه فى

كلية الآداب ؛ سأخبرك بهذا .. »

استدار (المرشد) نحو الكاتب العظيم ، وبكياسة

اعتذر له وشكره :

« سيىاسيا تافاريش .. »

فhez (دستوفسكى) رأسه فى خيبة أمل ، وابتسم

وابتعد ليفسح لهما مجالاً لركوب القطار .. لاحظت

(عبير) أن طرف فمه يرجف بلا انقطاع .. ولم تسدر

سبب هذا ..

قال (المرشد) وهو يعينها على الركوب :

« أنت تعرقين أنه مصاب بالصرع .. وكل التمثال

قد يبدأ النبوة »

- « يا حرام ! دعنا نُقبل عرضه ! »

- « ليس الآن .. ربما فى طريق العودة »

لأن قطار (فانتازيا) كان قد بدأ رحلته الطويلة عبر مملكة الأحلام .

كان القطار يتهاذى وسط عوالم لم ترها من قبل ، فيها مخلوقات فضائية غريبة تلتهم بشرًا صارخين ، وسحرة من (بيرو) يطلقون تعاويذهم أمام نار موقدة لاتكف عن التراقص ، والغوريلا العملاق (كنج كونج) يحمل فتاة صارخة فى يده ، كأنما هى دمية .. ربما هى (فاى راى) فى الماضى أو (جيسيكا لانج) فى الأفلام الحديثة ..

أسندت (عبير) مرفقها إلى النافذة ، وقالت :

- « لاحظت يا (مرشد) أنك تكاد تقصر مغامراتى هنا على الأعمال الغربية .. أنا أعيش هنا فى عالم من الأدب المترجم ، ما بين (جاك) و (هاتز) و (توم) .. هل يوجد لديك عالم يحوى (عباس) و (شحته) وسواهم ؟ أم أن نزعة العولمة تعربت لك أنت أيضًا ؟ »

ابتسم وأعاد قلّمه إلى جيبه ، وقال :

- « يوجد الكثير .. لكنك راغبة فى ارتياد عالم المغامرات .. واضح أنك تنفرين من الأدب الاجتماعى ، وهذا يجعل خياراتنا محدودة ، لأن أدب المغامرة المكتوب للعربية خصيصًا قليل جدًا .. هل لديك فى العربية شخصيات مثل (هولمز) أو (بوارو) أو (بيرى ميسون) أو (جيمس بوند) أو (القديس) أو (دراكولا) ؟ توجد نماذج نادرة جدًا ، ولهذا أجد نفسى مضطربًا لاصطحابك إلى العوالم الغربية .. »

لكن المنظر من نافذة القطار كان يقول أشياء أخرى ..

كأنت ترى الآن شارعًا هائلاً تنتشر الفيلات على جانيه ، ولجو رائحة عطرة غافية ، ثم نعلم القطار أكثر فراءت بقالًا على نصية الشارع ، وكشكا لببيع الصحف والمجلات .. هذه مصر .. لا ريب فى هذا .. ربما القاهرة كذلك .. فى مصر يقو كل شىء مصرىًا حتى لون الجو وشكل الظلال ولون الثياب .. لا يمكن الخطأ فى هذا .. فى فضول سألته :

- « وهذا المكان ؟ هل يتعلق بماضى أم هو من عوالم (يوسف إدريس) أو (نجيب محفوظ) ؟ »

ابتسم وهز رأسه أن لا :

- « حقًا هناك نماذج نادرة لأدب المغامرة في العربية ، ونحن نمر الآن بالصدفة بنموذج منها .. هذه هي المعادى .. معادى أوائل السبعينيات ، فهل تذكرت شيئًا ؟ »

- « حقًا لا أذكر .. هل (أدهم صبرى) يعيش في المعادى ؟ أم ؟ »

ثم ابتلعت لسانها إذ رأت خمس دراجات تخرج من شارع جاتبي ، يركبها خمسة أطفال أعمارهم سابين الثامنة والثالثة عشرة .. أكبرهم سنًا يتقدم الموكب ، وهو أكثرهم بدانة .. كتلة شحم تترجرج فوق الدراجة ، وقد احتقن وجهه من فرط الجهد .. وبعد ثلثيتين رأت كلبًا أسود صغيرًا يلحق بالموكب وهو يهز ذيله في مرح ..

أنتم هنا ! حقًا لقد نسيت ونسى (المرشد) الأحمق أن هناك عالمًا عربيًا ساحرًا للمغامرات ، يقوده صبي يدين له كل سحر وجاذبية (بوارو) و (هولمز) ، وهذا العالم قد خلد (المعادى) للأبد في أذهان كل من قرأوه ، حتى لو لم يروها قط ..

قالت للمرشد ، وهي تسبقه إلى مد يدها إلى الحبل لتوقف القطار :

- « أنزلني هنا .. لقد سمعت سماع أسماء (توم) و (ديك) و (هارى) ، وسماع الكلام بنغمة غير العربية .. إن هذه المغامرة تثير شغفى .. »
- « كما تريد يا (أنيس) .. »
- « لسمى (عبير) .. أكررها للمرة الأكف .. »

وتوقف القطار ، فترجلت .. وكالعادة وجدت نفسها وقد تغيرت شكلًا وملبسًا لتتواءم مع المغامرة الجديدة .. كانت تلبس الآن ثوبًا متسع ، التنورة من طراز يناسب أوائل السبعينيات ، وقد عقصت شعرها إلى أعلى ، وارتدت حذاءً منيب الطرف ، كما أدركت أنها صارت أصغر سنًا .. صارت على اعتاب المراهقة الأولى الخجول ..

كانت تركب - ببراعة لم تكن لديها - دراجة من دراجات البنات ، وتمشى وسط ذلك الموكب الخماسي الذي رآته منذ قليل ..

لقد بدأت المغامرة إذن ..

* * *

٢ - خمسة منهم ..

كما هي العادة بدأت الأحداث في إجازة منتصف العام .. وكما هي العادة كانوا في الحديقة الخاصة بدار الفتى البدين .. كان هذا زمناً سعيداً لا تعرف (المعادى) فيه الأبراج والبنائيات الشاهقة .. كانت مجموعة من الفيلات المعتسى بحداثتها ، مما جعل المكان أقرب إلى عالم سحري لم يتلوث ..

وهناك يجلس الخمسة في شمس الشتاء فائقة الدفء ، كأنما هي كل ما في الطبيعة من عطاء .. جاءت خادمة تحمل صحيفة عليها أقداح الشيكولاتة الساخنة ، فمد الأصدقاء أيديهم في رضا عن الكون بأسره ..

وكما هي العادة قال أحدهم (وهو أكثرهم نحولاً) :
« هي ذى الإجازة تنتهى ، وما من مغامرة واحدة ولا لغز .. الحق أنها كانت إجازة مملة .. »



كانت تتركب - ببراعة لم تكن لديها - دراجة من دراجات البنات ،
وتمشى وسط ذلك الموكب الخماسى الذى رآته منذ قليل ..

قال البدين فيهم وهو يتأعب :

- « من أدراك ؟ نفسى تحدثنى بأن مغامرة عظيمة فى الطريق لنا .. وما زال فى إجازتنا ثلاثة أيام .. قد يحدث الكثير فى ثلاثة أيام .. »

وهنا توقفت سيارة سوداء مهيبية الشكل أمام القيلأ ، وانفتح الباب لينزل رجل قوى البنيان غامض ، يضع عوينات سوداء ، ويذكرك بصور مراكز القوى كما نراهم فى أفلام السبعينيات .. لكن هذا لم يخف أنه مرهق فأنط بحتاج إلى عون سريع ..

- « هل رأيتم كم أنا مصيبب نومًا ؟ هذا هو للمقتش (بامى) ! »

* * *

هل استطعت تعرف هؤلاء ؟

طبعًا .. كل من بدأ - منذ بداية السبعينيات - يكتشف ذلك الاختراع السحري المدعو الكتاب يعرفهم .. إنهم طبقًا للمغامرون الخمسة .. مجموعة الأصدقاء الذين وحدثهم (المعادى) وودهم الاهتمام بالجرائم

الغامضة ، فكوتوا فريفاً متكاملًا وأطلقوا على أنفسهم (المغامرون الخمسة) ..

فى القصة الأولى (لغز الكوخ المحترق) النقصوا مغا ، واتخذوا أسماء حركية أو أسماء شهرة ، حفظها القارئ عن ظهر قلب .. (تختخ) الصبى البدين الذى امتلأ دهنًا وذكاء ، والذى يمثل المحرك والعقل المفكر للمجموعة .. إنه - كما سنقول مرارًا - عقل خالص ، فيه كل ما ينفر شكلياً ويجذب عقلياً ، ومعه عرف الطفل العربى للمرة الأولى معنى (أنتيهيرو) أو تقيض البطل .. وما لا تدركه (عبير) هو مدى عمق وتجسيم هذه الشخصية ، والذى تم بناؤه ببطء عبر عشرات الكتيبات .. إنها شخصية ثلاثية الأبعاد ، لا يجد القارئ صعوبة فى أن يحبها فيدمتها ..

وبعده بمسافة لا بأس بها يأتى (عاطف) وهو يمثل إلى حد ما القوة الخالية من الذكاء .. ثم يجرى (محب) التحيل كثير الحركة .. أما الفتيات فالتنان لا أكثر : (نوسة) وهى على أعقاب للمرافقة ، و (لوزة) وهى طفلة فى كل شىء إلا فى نكاتها الخارق .. إنها

أضعف وأصغر أعضاء الفريق ، لكنها نموذج لـ (يضع سره في أضعف خلقه) ..

ربما يذكر القارئ كذلك أن (نوسة) هي شقيقة (محب) ، و (لوزة) شقيقة (عاطف) ..

ولقد لعبت صورة الشخصيات التي رسمها الفنان (سمير ثابت) على الغلاف الأخير ، دوراً لا بأس به في تثبيت هذه الصور للأبد : (تختخ) بنقنه المزدوجة المكنزة ، و (محب) بوجهه المثلث العصبى ، و (لوزة) بصغيرتيها الطائرتين فى الهواء كجهازى استقبال ..

أما المفتش (سامى) فهو ضابط ذو رتبة عالية ، ربما فى المباحث الجنائية أو شىء من هذا القبيل .. ثقبه عياء فى الأصدقاء ، وربما بدا من العسير تصور أن يتجه المفتش إلى دار طفل يدعى (تختخ) ، ليقول له فى كل مرة : نحن نعتد عليك يا (تختخ) .. ويجلس فى نهاية القصة ليصفى فى تواضع لفتائج تحقيقاته واستنتاجاته ، ثم يعقل الجأتى دون مناقشة .. بل وفى (لغز القلار الأخضر) يطلعه على أسرار مهمة

من أسرار أمن الدولة ، لكننا نقبل هذا وتصدقه كجزء من الصفة الشهيرة بين الكاتب والقارئ : دعنى أنخدع - دعنى أخدعك ..

لقد طبعت هذه القصص كل المطبوعات الأخرى بطابعها ، وخرجت من عبايتها سلاسل عديدة ، ويكفى أن القارئ العربى - حتى اليوم - يسمى أى كتاب من نفس القطع وله ذات الغلاف الصقيل باسم (لغز) .. لقد اتسع لفظ (لغز) ليشمل نوعاً بأكمله من المطبوعات ، حتى لو لم يكن محتواه بوليسياً ..

بقى - قبل أن نعود لقصتنا - أن نقول ما لا يد أن القارئ ختمه منذ دهر : (عبير) قد وجدت نفسها هنا فى شخصية (نوسة) ..

★ ★ ★

التف الأصدقاء - بشوارب من الشيكولاتة فوق شفاههم العليا - حول المفتش ، ورحبوا به فى حرارة ، فسألهم بصوته الرنان القوى :

« كيف حالكم ؟ هل من ألغاز فى الجو ؟ »

قلب (تختخ) كفه لأعلى بمعنى أنه لا يوجد شيء ،
وقال :

- « كنا نأمل أن نقدم لنا شيئاً يا سيدى .. »

قال المفتش وهو يتناول قدح القهوة الذى جلبته
له الخامسة :

- « حقاً لدى شيء .. وإن كنت لا أتوقع أن تنجحوا
فى حله فى الفترة الباقية على الإجازة .. »

كانت كل الجرائم وكل التحقيقات - لأسباب تربية -
تتم دائماً فى الإجازتين : إجازة الصيف وإجازة
منتصف العام .. ومن الغريب أن الحل كان يأتى دوماً
فى آخر لحظة قبل انتهاء الإجازة ، بعد هذا يتوارى
المغامرون الخمسة تماماً حتى العطلة التالية .. وهكذا
تجد أنفسنا أمام حالة فريدة محيرة لرجال علم
الإجرام : الجريمة لا تحدث فى (المعادى) إلا فى يناير
وفى أشهر الصيف ..

استطرد المفتش بعد الد (سليرب) المميزة لأول
رشقات من القهوة :

- « الأمر يتعلق هذه المرة بجريمة قتل .. أو هذا
هو الاحتمال الغالب لدينا حتى الآن .. »

شهِق الجميع وتبادلوا النظرات .. وتذكرت
(عبير) أن الألفاز ظلت خالصة من جرائم القتل
بأنواعها ، ولنفس الأسباب التربوية .. حقاً قد غصت
بالسرفات وجرائم التزوير ، لكن لا قتل .. لا عذف من
أى نوع .. سيكون هذا لغزاً فريداً من نوعه إذن ..

قال المفتش وهو يضع قدح القهوة على المنضدة :
- « الأمر يتعلق بالمحاسب (حسين أبو شادى) ..
لقد اختفى منذ أسبوع ، ولا يوجد أى دليل على المكان
الذى اختفى فيه .. »

متدهشاً هتف (محب) :

- « المحاسب (حسين أبو شادى) اختفى !؟ إنه
صديق أبى .. كيف لم نعرف هذا ؟ »

- « كان صديق أبيك .. هذه نقطة .. النقطة الثانية
هى أن المحبطين به يحسبونه سافر إلى النمسا فى
مؤتمر دولى .. هذا ما قيل .. »

سألت (عبير) وقد بدأت تندمج في جو القصة :

- « هذا ما قيل ؟ لا أفهم .. ألم يصل إلى هناك ؟ »

- « نعم .. أبرقت إدارة المؤتمر تتساءل عن عدم وصوله .. أصاب الزوجة الذعر ، واتصلت بالمطار لتعرف أن الرجل لم يغادر البلاد عن طريق المطار قط .. لقد اختفى الرجل تمامًا .. »

- « وبالطبع حاولتم أنتم البحث بأساليب الشرطة المحكمة ؟ »

- « بالطبع .. لا أئسر للرجل في المستشفيات ولا المشراح .. لم يره أحد .. لم يتعرف صورته أحد .. باختصار : لقد تلاشى تمامًا .. تبخرت جزيئاته .. »

في مرج قالت (عبير) / (نوسة) :

- « تسامى ! أى تحول من الحالة الصلبة إلى الغازية دون مرور بالحالة السائلة ! هذا ما تعلمناه في الكيمياء .. »

قال المفتش في فتور :

- « من يدري ؟ ربما بالحالة السائلة .. إن التدويب في الحمض احتمال لم أعد أندش له الآن ! »

سأله (تختخ) بلهجة عملية ، كأنما يريد إنهاء الأحاديث الجانبية :

- « هل هناك مستفيدون من اختفائه ؟ »

- « لا أحد .. الزوجة ستقال مبلغ تأمين لياأس به ، لكنها ليست من هذا الطراز على قدر ما نعلم .. »
- « هل الانتحار وارد ؟ إن جثث المنتحرين قد توجد في أماكن غريبة ، لا يمكن العثور عليها .. »

- « من الصغير أن ينتحر وهو المتحدث الرئيسي للمؤتمر وضيغه ، وحالته المالية في تحسن مطرد ، وعلاقته بزوجته محل حسد للكثيرين ، وصحته على مايرام ، فلم يخبره الأطباء أنه مصاب بسرطان المخ لو كان هذا ما تعنيه .. »

- « وماذا عن الاختطاف ؟ »

- « مستبعد لنفس الأسباب .. لا أعداء للرجل .. ولم

يطلب الخاطف فدية ، فمن الصير أن يختطفه أحد
لتربيته في القناء الخلفى .

- « وفقدان الذاكرة ؟ أليس وارداً ؟ ربما كان الآن
يجول فى أحياء القاهرة المحيطة بالحسين - واللعب
يسيل من شذقيه - يتسول . »

- « لا تكن سخيّاً .. هذا الرجل هو عقل إلكترونى
أدمى .. لا ينسى شيئاً أبداً . »

عقل إلكترونى ؟ ثم تذكرت (عبير) أن القصة
تدور فى عصر لم يكن أحد فيه يستعمل لفظة
(كمبيوتر) أو (حاسوب) ..
قال (عاطف) وهو يتمطى :

- « يبدو لغزاً صعباً بحق .. لا توجد نقطة ارتكاز
نبدأ منها .. »

- « لهذا جئت أطلب رأيكم .. »

ثم نهض المفتش ، وقال وهو يغادر الحديقة :

- « هناك من سيجلب لكم ملفات التحقيقات بعد ساعة
من الآن .. أريد منكم أن تفتحوا عيونكم وتبحثوا جيداً .. »

★ ★ ★

٣ - حسين أبوشادى ..

- « لغز ! سنذهب لنبحث عن دليل ! »

كذا صاحت (لوزة) فى مرح كعائتها ، فهى قد
قضت عشرات الألفاظ دون أن تتمكن من أن تنطق
(دليل) بدلاً من (دليل) .

قالت (عبير) / (نوسة) فى توجس :

- « أخشى أن الأمر هذه المرة أكبر منا .. »

- « لا شئ أكبر منا سوى الموت .. »

قالها (تختخ) فى ثقة وابتسم لها .. كان صوته
قد اكتسب تلك الخشونة الوليدة المصاحبة للمراهقة ،
لذا صارت له عدة نغمات ، وكان يعطيك دوماً الانطباع
بالمعاناة كأنما نبرات الصوت تخرج من قلبه
لا حنجرته .. أما عن الزغب المتراكم فوق شفته العليا
فحدث ولا حرج .. والحقيقة هى أن (تختخ) قد جرب

حلاقة مشروع الذقن هذا منذ أسبوعين .. تسلل
للحمام فجراً واستعمل موسى أبيه ، وحاول أن يزيل
الشعيرات الناعمة على خديه ، فقط ليشعر بالرجولة
الوليدة ، لكن الأمر كان أصعب مما توقع ، وكاد يحش
أذنه اليسرى بالموسى .

لقد كبر (تختخ) حقاً ، وإن سبقه (عاطف)
و (محب) فى شعر الوجه وخشونة الصوت ..

سأل (تختخ) (محب) :

- « قلت إن (حسين أبو شادى) صديق أبيك ..
فماذا تعرف عنه بالضبط ؟ »

نظر (محب) إلى الأرض مفكراً وقال :

- « لا شىء .. هو رجل عادى من الذين تراههم فى
كل مكان ؛ فى الخمسين من العمر .. أصلع .. عوينات
سميكة .. مرح لطيف المعشر مهذب .. لديه ابنان هما
(علاء) و (كمال) .. مهندس وطبيب بالترتيب ،
وكلاهما لا يقيم فى مصر .. »

- « وزوجته ؟ »

- « مدام (سلوى) .. سيدة مجتمع قاضية
ومهذبة .. وهى صديقة أمى بالمناسبة .. يبدو أنها
- الزوجة لا أمى - عضو فى أحد تلك الأندية النسائية
التي يصعب تذكر اسمها ، والتي تنظم الحفلات
الخيرية ، وتشرف على بيع المفارش اليدوية ، وتبيع
اليتامى ، وما إلى ذلك .. وبالمناسبة مدام (سلوى)
قد تأثرت كثيراً باختفاء زوجها ؛ حتى إنها كفت تماماً
عن دورها الاجتماعى وعن لقاء الصديقات .. »

نظر (تختخ) إلى (عبير) وقال :

- « هل تعرفينه يا (نوسة) ؟ »

بالتطوع وجدت (عبير) نفسها فجأة تعرف كل
شئ عن الرجل ، فقالت وهى تنظر إلى أخيها كى
يصحح أخطاءها :

- « طبعاً .. وهو رجل تقليدى ممل .. ليس من
الطراز الذى يهرب أو يختطف .. كل ما هنالك أن
لشركته نشاطاً دولياً ، وهو كثير الأسفار لهذا
السبب .. »

حك (تختخ) نَفَقَه التي لم يقدر على حلّتها ، وقال :

- « حسن .. سيكون عليك و (نوسة) زيارة المرأة
- التي أرجو ألا تكون لرملة الآن - لتحقيقا في الأمر بدقة ،
أما أنا فما أقوم بالتتكر في شكل متسول .. »
سأنته (عبير) :

- « كل هذا جميل ، ولكن لماذا تتكرر في هذا
الزى ؟ »

- « لا أدري بعد .. لابد من التتكر في كل مغامرة ..
هذه هي التقاليد » .

وتفريق الأصدقاء على أن يلتقوا في المساء لتبادل
وجهات النظر في الأمر ..

* * *

راكبة الدراجة في شوارع المعادي الهادئة مع
أخيها (محب) ؛ خطر لـ (نوسة) أن الضاحية لم تكن
قط بالجمال الباهر ، الذي رسمها بها المؤلف (محمود
سلم) .. ها هما ذان يتجهان إلى الشارع الجانبى الضيق

الذى تحفه الخضرة من الجانبين ، والذي يقيم فيه
الأستاذ المختفى (حسين أبو شادي) ..

قال لها (محب) دون أن ينظر لها ، وهو يلهث
من مجهود القيادة :

- « (نوسة) .. لا أدري كيف يمكنني البدء في أن
أقول ما أريد قوله .. »

...

...

قالت له متوجسة :

- « الأمر ليس بهذا التعقيد .. أعتقد أن هذه بداية
جيدة بالفعل » .

...

واصل السير ، وعضلاته النحيلّة تتوتر أكثر على
مقود الدراجة ، وتحركت حنجرته (تفاحة آدم) في
عصبية ، مما يدل على عسر يلاقيه في الكلام ..

- « الأمر يتعلق بـ (تختخ) ، وهذا لا يحظ أن اهتمامه
بك قد بدأ يتزايد .. ولا أدري كيف أعبر ، لكن كل هذا
بضايقتي ، ولمسوف أكون شاكرا لو أخبرتني بأي جديد
يطرأ ، لأنني أسمح لأحد بمضايقة أختي .. »

غريب هذا ! لم يجز ذلك بخاطرهما قط ، ولم تضعه

سمحت لهما بالدخول في مودة ، وتكفلت بضع كلمات
بإجراء التعارف .. كانت حزينة كاسفة البال لكنها
احتفظت بأسلوبها السودود المرحب .. أسلوب من
اعتادت المجتمعات والحفلات ، واعتادت أن تبش في
وجه من لا تطيق ..

بعد المجاملات المعتادة - في صالون فاخر يقص
بالعائيات والتحف - وبعد التهام (الجاتوه) وشرب
الشاي ، وبعد السؤال عن صحة أهمها ، وبعد إطراء
جمال (نوسة) / (عبير) وتحولها إلى عروم باللغة
الحسن ، هي التي لم ترها منذ زمن بعيد ؛ بعد هذا كله
بدأت تبكي ..

نظرت (عبير) لـ (محب) حائرة ، ثم نهضت
وجلس جوار المرأة المتحمسة ، ووضعت يدا مترددة
على كتفها المهترئة ، وقالت :

« اهدنى يا طاط .. لا عليك .. »

راحت السيدة الفاضلة تمخط وتشهق ، ثم أخرجت
متبيلاً محلواً عملاقاً و (بفففففف) ! أفرغت أنفها ،
ثم قالت :

- « لو أنهم جلبوا جثته لى ، لكان هذا أرحم من
حالة الجهل المخيف التى أمر بها .. من أبسط حقوق
الزوجة أن تعرف ما حل بزوجها .. هل أنا أرملة الآن
أم أن زوجى مخطوف أم هارب أم ؟؟ »

سألها (محب) بطريقة عابرة :

- « كيف حدث كل شيء ؟ »

قالت وهي تنظر خارج النافذة إلى الحديقة :

- « بدأ كل شيء يوم الاثنين من أسبوعين .. »

★ ★ ★

لم تضيف الزوجة جديداً إلى ما حكاه المفتش
(سامى) .. المؤتمر الاقتصادي الآرى يدعو الزوج
- وهو حاصل على دكتوراه فى العلوم الاقتصادية -
والزوج يقبل الدعوة .. ليست هذه أول مرة .. يعد
حقائبه وينطلق بسيارته إلى المطار ، ويؤكد أنه
سيعود بعد ثلاثة أيام .

فى المساء تنتظر الزوجة فى قلق مكالمة
زوجها .. لم يتصل ..

فى الواحدة بعد منتصف الليل تأتيتها مكاملة من
النمسا .. الملحق الاقتصادى المصرى يسألها عن
سبب تأخر الأستاذ فى الحضور .. تدرك الحقيقة
المروعة : الزوج لم يصل إلى النمسا قط .. تتصل
بالمطار هنا لتجد أنه لم يركب الطائرة أصلاً ..

هنا فقط بدأت تتحرك إيجابياً .. اتصلت بالشرطة ،
وهؤلاء بدعوا البحث بحماس .. فقد اختفى الرجل منذ
أربع وعشرين ساعة ..

النتيجة سلبية فيما يتعلق بالمطار .. سيارته غير
موجودة فى دائرة المطار . وكل الأماكن التى يمكن أن
يترك المرء فيها سيارته ثلاثة أيام ..

اتصلوا بأقاربه .. بأصدقائه .. فقط تجنّبوا الاتصال
بوالديه المقيمين بالخارج كى لا يُجنّا .. لم يتركوا
حجراً لم يقلّبوه - كما يقول الإنجليز - دون جدوى ..

لقد تلاشى الرجل تماماً من على وجه البسيطة
كأنما لم يكن قط ..

★ ★ ★

٤ - مغامرة ليلية ..

- عندما التقوا فى المساء : كانت لدى (تختخ)
قصة مسلية عما قام به اليوم ، وقد حكاها بعدما سمع
تفاصيل ما قاموا به ..

لقد انتظر حتى بدأ الليل يهبط . وهو يهبط مبكراً
لأنهم فى شهر يناير ، ثم صعد إلى حجرته فى الطابق
الثانى . والتى تحوى كل كنوزه من أدوات التنكر والثياب
التي جمعها بعناية على مدى أعوام والغز متعددة ..

لقد شاهدنا (تختخ) فى ثياب القرداتى وثياب
المهرجا والنشال .. ومن الغريب دائماً أن تنكره
يجعله يبدو أكبر سناً حتى ليخدع عتاة المجرمين ..

دائماً ما يكون تنكر (تختخ) فقرة ثابتة فى كل
لغز .. وهو هنا أيضاً لاينوى تخريب أمل القراء ..

كان التنكر الذى اختاره هذه المرة هو ثياب متسول ..
ربط إحدى عينيه بعصابة ، وارتدى جمّة الشعر
المنكوش المتسخ ، وارتدى ثياباً مبقعة ممزقة ..

ثم كعادته تسلق على الشجرة التى تطل غصونها
جوار نافذته ، هابطاً إلى الحديقة ، حيث هدأ من روع
كلبه الأسود (زنجر) .. لاداعى للوضوء أيها الكلب
العزيز .. لا تخف ..

ومشى فى شوارع المعادى التى غمرها الظلام
قلصداً بيت الأستاذ (حسين أبو شادى) الذى اختفى
دون سبب واضح ..

لم تكن هناك خطة محددة فى ذهنه لما يجب
عمله ، لكنه قرر أن يلقي نظرة على الفيلا وأن يقول
شيئاً للبواب .. فى الغالب سينتهى الأمر بالطرد الغليظ ،
لكنه فكر فى أن وجه البواب سيمنحه فكرة ما ..

وقف فى الليل البارد قرب الفيلا التى راحت تتوهج
فى أضوائها الكهربائية ، كأنما الحديقة بحر من نور فى
حلم جميل .. وراح يردد بصوت مبجوح مشروخ دام :

- « لله يا محسنين .. لله »

قالبها ست مرات ثم شعر بالملل ..

« الحقيقة » - قال (تختخ) للأصدقاء - « هى أن

المتسولين يستحقون - إلى حد ما - ما ينالونه ، فهم
يملكون فضيلة المثابرة وعدم الملل .. وهى - كأيّة
موهبة أخرى - لها ثمنها من دون شك ! »

نعود لموضوعنا ...

قلنا إذن إنه راح يردد عبارات التسول حتى شعر
بسام حقيقى ، فقرر أن يذنب من الفيلا .. كان هذا حين
استلقت نظره متسول آخر يحمل عصا خشبية ويقف
على الجانب الآخر من الطريق ، فى ضوء مصباح
عمومى .. كان يربط رأسه بعصابة عليها بقعة
حمراء ، وله شارب كث غليظ .. أما الأهم فهو أن
الرجل كان يرمقه بإصرار وفضول ..

هذا طبيعى .. فكر (تختخ) .. متسول ومتسول
هما زميلا مهنة ، ولابد أن الآخر يتسائل عن اسمه
ومنطقة عمله .. ثم إنها صدفة غريبة أن يتواجد
متسولان فى هذا الحى الراقى ليلاً ...

وبون كلمة أخرى عبر المتسول الآخر الشارع ،
ويخطى ثابتة اتجه نحو (تختخ) ، واعتصر ذراعه فى
قسوة ، بينما غياه تشعان ناراً :

- « من أنت وماذا تفعل هنا ؟ هذه منطقتي وأدفع
أرضيتها لـ (سيد فورمايكا) .. هل يعرف (سيد) أنك
هنا ؟ »

كان قلب (تختخ) يتواثب هلعاً لكنه تماسك ،
وخطر له أن من يملك هذه القوة الجسدية لا يمكن أن
يتسول .. لقد ضل هذا الرجل طريقه إلى عالم قطع
الطريق الرحب ..

استجمع ما في حنجرته من صوت غليظ وقال :

- « إنها مسألة أرزاق .. لا أحد يسرق رزق الآخر ..
وهذا الحى ثرى ويتسع للجميع » .

- « أما أنا فاقول لك (يا واخذ قوتى .. ياناوى على
موتى) .. لا مزاح هنا .. والطعن بالمدى ليس
أبسط ما يحدث لأمثالك .. هيا ! انصرف وأرنى عرض
كنفيك ! »

كان (تختخ) قد وصل الآن إلى رأى صائب لاشك
فيه : هذا ليس متسولاً حقيقياً .. إنه يجب تمثيل
دوره ، لكن لهجته وانفعالاته كلها نوحى بالتصنع ..

هذا الرجل يبذل مجهوداً كالذى يبذله (تختخ) لبيدو
مقتناً ..

أما القرار الصائب فهو الابتعاد ..

وهكذا تراجع (تختخ) فى وجل لم يتكلفه ، لأنه
كان بحق خائفاً .. بالتواقع لم يبتعد تماماً ، إنما توارى
فى شارع جانبي ، ثم من جديد عاد يختلس نظرات
فضولية إلى الفيلا ، وفى هذه المرة كان مارآه
غريباً ..

رأى المتسول المزيف يتقدم بخطى ثابتة إلى باب
الفيلا فيفتحه ، ثم يدلف إلى الداخل ، فلم يأت البواب
برد فعل ما .. وفى اللحظة التالية رآه يغيب فى الحديقة ..

قرر (تختخ) أن ينتظر ليرى متى وكيف يخرج
المتسول من الفيلا فى المرة القادمة ، وظل حيث هو
بضع دقائق .. كان بطبعه ملولاً ، وهاله أن مهناً كثيرة
جداً تتطلب الصبر ، ومنها مهنة المخبر ومهنة
المتسول .. يبدو أنه لا يصلح لكليتهما ..

.. « قف حيث أنت ! »

كان هذا هو الصوت الذى باعته من الخلف ،
فالتفت ليرى الهول ذاته ممثلاً فى الشاويش (على)
أو الشاويش (فرقع) كما يسمونه ..

إن الشاويش (فرقع) هو - عن جدارة - سادس
المغامرين الخمسة ، ووجوده أمر لا يمكن الاستغناء
عنه ، كما لا يمكن أن تتم مغامرات (توم) من دون
(جبرى) ، أو نرى (لوريل) من دون (هاردى) ، أو نفهم
معنى الأرض من دون سماء .. دائماً هو هناك ، وهو
عاجز تماماً عن النظر بصورة جدية إلى المغامرين ..
مجرد أطفال هواة يعرفون عمله .. هذا هو رأيه
فيهم .. ولهذا يرفض وجودهم دوماً بقوة السلطة
التفنيّة التى يمثلها . لكنه كالعادة يفشل دائماً .. وفى
كل مرة يزداد غضباً وحنقاً .. ونجده لا يتعلم أبداً - بعد
عشرات الألفاظ - أن هؤلاء الصبية بارعون حقاً ..

بقى أن نقول إن الشاويش (فرقع) هو الاسم الذى
اختاره الأصدقاء سرّاً للرجل ، لأنه لا يكف عن طردهم
من كل مكان مريداً : فرقع من هنا منك له ! يقولها
بلهجته الريفية حتى صارت علامته التجارية المميزة ..

كاد (تختخ) يتكلم مع الشاويش مفسراً ما يحدث ،

ثم فطن إلى تنكره ، وإلى أن نهاية المغامرة لن تزيد
على ليلة فى تخشبية قسم المعادى .. وهكذا قرر أن
يركض .. إن الظليم (ذكر النعام) الذى ضربوا به
المثل فى السرعة ، لن يملك إلا أن يحسد (تختخ)
على سرعة جريه ، وهو يحاول الاختفاء عن عيني
الرجل ، وسمع الشاويش يخف السير وراءه صائحاً :

« قلت لك قف ! »

لكن من ذا الذى يطيع أمراً كهذا ؟

شوارع متلوية يعبرها ، وصوت حدائى الشاويش
الثقلين يلاحقانه ، وفى النهاية لم يعد يسمع شيئاً
فواصل الركض إلى داره وقلبه يوشك على الانفجار ..
لو كان (محب) مكانه لأدّى العمل بشكل أفضل .. أما
مع بدانة (تختخ) هذه ...

وأخيراً استطاع اللحاق بالاجتماع الحالى ..

وفى النهاية سأل (تختخ) الأصدقاء ، وإن اختص
(عبير) / (نوسة) بنظراته بالذات :

« الاقتراحات ؟ »

★ ★ ★

٥ - فلنتسلل ..

صمت الجميع ، وراح كل يبحث عن تفسير مقنع لما سمعه .. المشكلة فى الجلسات من هذا النوع هى حاجتك إلى أن تقدم آراء طازجة جيدة ، حتى لا تبدوا أحمق .. وأحياناً تطفئ رغبة التميز على جودة الفكر ومنطقها ..

لأسباب كهذه قال (عاطف) :

- « الأمر واضح .. المتسول هو الأستاذ (حسين أبو شادى) ذاته .. لقد غير من شخصيته لسبب لا يعلمه إلا الله ثم هو وزوجته ، واعتاد العودة إلى الفيلا ليلاً لسبب مجهول آخر .. »

ثم يعلق (تختخ) واستدار إلى الآخرين ، وسأل :

- « ما رأيكم أنتم ؟ »

قالت (عبير) :



وسمع الشاويش يخف السير وراءه صائحاً :

- « قلت لك قف ! » ..

- « يبدو لي هذا مقتعاً .. لعل الرجل هارب من الدائنين أو خطر ما .. ولهذا قام بما في وسعه كي يتلاشى (حسين أبو شادي) تماماً .. »

نظر (تختخ) إلى (لوزة) الصغيرة التي كانت آراؤها تروق له دوماً :

- « وأنت ؟ »

ابتلعت ريقها في حماس شأن الأطفال حين تواتيهم الفرصة لإثبات أنهم ليسوا كذلك ، وقالت :

- « أرى أنه من المستحيل أن يعود (حسين أبو شادي) إلى القيلأ في هذا الوقت بالذات .. لا يد أنها مراقبة بإحكام .. وهذا يضعنا أمام الاحتمال الثاني : المتسول رجل من رجال المباحث يراقب القيلأ ومعروف للبواب والزوجة .. »

من جديد لم يطلق (تختخ) ونظر إلى آخر المغامرین الخمسة ، وقال :

- « (محب) : هل من رأى آخر ؟ »

قال (محب) في توتر كئنه في امتحان :

- « لا أدري .. هذان الرأيان يبدوان متعادلين القوة ، لكنني أتمساعل : قد يكون المتسول متسولاً حقيقياً واتعقدت صداقة بينه وبين البواب ، بما أن هذه منطقة عمله .. لعل البواب يسمح له بالدخول ، وربما احتساء بعض الشاي أو تدخين المعسل .. »

هنا نظرت (عبير) إلى (تختخ) وتساءلت :

- « وما رأيك أنت يا (تختخ) ؟ »

انفجر (تختخ) يضحك في استمتاع حتى أثار غيظهم إلى حد ما ، وبين ضحكاته قال :

- « أرى أن أشياء بالغة الوضوح تفوتكم في هذه الأيام ! »

★ ★ ★

كان اسمه (توفيق خليل توفيق خربوطلي) ، ولهذا اختاروا له الحروف الأولى من اسمه الطويل ليكون (تختخ) ..

منذ طفولته عانى (تختخ) ما يعاينيه أي صبي يدين مكتنز .. لقد دأبت السينما في قسوة على تصوير

البدن في صورة الأكل النهم الداعي إلى الاستخفاف
والتهكم ، وصار سن واجب الأطفال المقدس أن يجعلوا
حياة البدينين جحيماً ..

لقد تلقى (تختخ) عبارات السخرية ، وتحرش به
الجميع ، غير متصورين أنه يدارى تحت طبقات الشحم
الكثيفة هذه روحاً مرهقة شفاقة .. وهكذا ازداد الكماشاً
وتفوقاً على عالمه الخاص .. عالمه شديد الثراء ..

في ملعب العقل استطاع (تختخ) أن يتميز
ويمتاز ، وغدا قادراً على إبهار الآخرين والفوز
باحترامهم .. المشكلة هي أنه كان دوماً متعطشاً إلى
التميز وتقديم الجديد .. ومع كل لغز يحله كان يصعد
درجة في نظر نفسه ، لكن اللغز التالي كان يثير رعبه
وقلقه ، خشية أن يسبقه إلى حله أحد ..

ويمكننا بسهولة من القصص أن ندرك أن
(تختخ) كان يحتفظ بالمهام الأساسية لنفسه ، ويكتم
ما يعرفه حتى لحظة الإبهار الأخيرة ، التي يكشف فيها
كل شيء أمام عيون المندشمين وإعجاب المفتش
(سامي) الثمين به .. وهذا داء أصيب به كل مخبري

القصص بدءاً من (شيرلوك هولمز) ومروراً
بـ (هيركيول بوارو) والمفتش (ميجريه) ..

المشكلة الآن هي أن (تختخ) لم يعد (تختخ)
القديم .. لقد تدخلت عواصف المراهقة لترزع
عقريته ، وفي ذهنه وفؤاده كانت تصطرع ألف
عاطفة وعاطفة لتشتت تفكيره تماماً .. كان يحلم بالحب
ويدرك أنه في الحقيقة يستحقه ، لكن تفصله عن الحب
عدة كيلوجرامات من الشحم يستحيل التخلص منها ..

وهكذا وقع (تختخ) الفطين في الشرك المعروف :
أن يحب الحب لا يحب شخصاً بذاته ، ولم يكن هناك
شخص مناسب سوى (نوسة) يسمح بتركيب هذه
العواطف الجاهزة عليه .. وصارت (نوسة) بالتالي
تحتل المسافة بين القلم والورقة .. بين أظفاره
وأطراف أنامله .. بين عضلة قلبه والشغاف الذي
يغطيها ..

وهكذا لم يعد يملك وضوح التفكير السابق ، وغدا
من العسير عليه أن يجد حلاً لهذه القضية في الوقت
الحالي ، لكنه شعر بأن من واجبه أن يكون غامضاً ،

لذا قال ما قاله دون أن تكون عنده أدنى فكرة عن
الجواب الصحيح ..

* * *

وتساءل الجميع في دهشة :

- « ما هي هذه الأشياء التي فاتتنا .. »

فقال في غموض مضيقاً عينيه :

« لم يكن الحل هذا ولا ذاك .. الحل هو ... ولكنى
أفضل الانتظار حتى تكتمل القضية .. »

في ضيق هتف (محب) ، وكان قد بدأ يمل
(تختخ) هذه الأيام :

- « إما أننا نعمل مغامراً لا .. يجب أن نصارحنا
بما تفكر فيه .. »

- « لأن هذه الاستنتاجات لم ترق إلى مستوى
الحقائق بعد .. ليس أبسط من هذا .. »

ثم نظر إلى (نوسة) وقال مبتسماً :

- « لقد لاحظت (نوسة) نقطة مهمة في حقيقة الأستاذ

(حسين أبو شادي) ولم تلفت نظر أحد ، لكنى أجدها
هي مفتاح اللغز الأساسي .. هل تذكرون ما قالته عن
النباتات في الحديقة ؟ كانت هناك رقعة لم تتم بها
الزهور كما ينبغي .. لماذا ؟ »

تبادلوا النظرات ولم يطلق أحد ، فأردف :

- « لأن تراب الحديقة تم تقلبيه حديثاً ، ثم تم
غرس هذه الزهور على عجل .. هل نعلمون لماذا تم
تقليب تراب الحديقة ؟ »

هتفت (نوسة) في رعب :

- « لا .. لا تقل .. »

وقال (عاطف) في حيرة :

~ « تعني أن هناك من قتله ودفنه في الحديقة ؟ »

- « هذا مجرد احتمال .. لكنه يستحق البحث .. »

ثم التفت إلى (عاطف) وقال :

- « هذه مهمة الأقوياء جسدياً .. الليلة نتسلل إلى
الحديقة ونحاول البحث فيها عن الشيء المدفون هناك .. »

وبينما (نوسة) راحلة ، دس خلسة ورقة مطوية
فى كفها ..

★ ★ ★

المطر .. المطر !

المطر القادر على قهر الجيوش ، ونسف أكثر
المخططات إحكاماً .. هو ذا يعلن عن مقدمه بلطف فى
البداية ثم يعناد ، ثم بشراسة لا تتم عن تهذيب كبير ..
لقد جاء ليبقى وليخرس الشاكون ..

ووقف (محب) يرتجف وينقل ساقيه طلباً للدفع ،
وهر يركن إلى دراجته ، وقال بأسنان تصطك :

- « يبدو أن المشروع قد صار جديراً بالتأجيل ..
لن نجد ليلة أسوأ من هذه .. »

بإصرار قال (تختخ) وهو يرفع الرقش :

- « بالعكس .. هذه ليلة مناسبة جداً لأن الجميع
سيلزم داره .. ستتحول المعادى إلى ضاحية أشباح ،
ولن تكون هناك أسئلة سخيفة . »

هل أكون مبالغاً لو طلبت منك أن تجلب الرقش من
حديثكم ؟ أنا سأجلب رقشى كذلك .. (محب) سيأتى
معنا لكنه لن يدخل .. سيكتفى بالمراقبة وإطلاق
صوت البومة لو رأى ما يريب .. »

كانت هذه من تقاليد القصص الدائمة .. لا بد من
صوت البومة كأن هذا طبيعى فى المعادى وكانت
(عبير) قد نشأت فى أحياء فقيرة مهدمة كما نعلم ،
لكنها لم تسمع قط صوت هذه البومة إلا فى التلفزيون ..
قال (محب) متوتراً :

- « أعتقد أنها مخاطرة .. للتسلل إلى منكنية خاصة ،
خاصة وأن منزل الرجل مراقب حتماً .. »

- « سنكون حذرين .. فى النهاية سنتظاهر بأننا
أطفال متطفلون .. هذه هى الميزة الوحيدة لأن يكون
المرء طفلاً .. »

ثم نهض ، وأعلن أن على الفتيان الاستعداد خلال
نصف ساعة ، أما الفتيات فعليهن العودة إلى ديارهن
والدعاء ...

كانوا قد أوقفوا الدراجات فى شارع جانبي ، وكان
الماء المنهمر يجعل فتح العينين عملية بطولية ، ومن
جديد أصدر (تختخ) تعليماته إلى (محب) :

- « لا تنس .. صبيحة اليوم .. هه ؟ »

- « بمجرد أن أجد مكاناً لا تملأ المباءة عيني فيه
سأندركم .. »

واتجه (تختخ) و (عاطف) نحو الفيلا ، وقد حمل
كل منهما كشافاً صغيراً ، ونظر الأول إلى ساعته
فوجدوا الواحدة بعد منتصف الليل .. لا بأس .. إن
الطقس يزداد سوءاً وهذا يطرد المتطفلين ، كما قال
(جين كيللى) فى أغنيته الشهيرة (الغناء تحت
المطر) ..

« دع السحب الدائكة تطرد الجميع من المكان ..
عندها أمسى فى الزقاق مردداً لحناً مرحاً .. الشمس
فى قلبي ومتأهب للحب .. »

دارا حول سور الفيلا ، ثم أشار (تختخ) إلى بقعة
صالحة للتسلق .. كانت هناك على السور الفارق بالماء

بضع قطع من زجاج مهشم ، هى رمز لا أكثر لطرد
الصوص ، لكن فعاليتها - كالعادة - صفر ..

وتسلى الصديقان المكان بكثير من الصبر ، وكان
على (عاطف) أن يصعد أولاً ، فيعتلى السور ، ثم يمد
يده ليتناول الرفشين ويطوح بهما من عل إلى
الحديقة ، بعدها يتبعه (تختخ) ..

تم هذا خلال عشر دقائق .. بعدها وثبا إلى الحديقة
ليسقطا فى بركة من الطين الزلق ، وأعلن (عاطف)
رأيه فى الموضوع حالاً :

- « تباً !! »

- « شششش ! يجب أن نعرف مكان البواب أولاً .. »

ولم يكن هذا عسيراً لأن غرفة الرجل الصغيرة
كانت مغلقة ، والنور يلتمع وراء زجاج النافذة ،
وبرغم هدير المطر المستمر : كان صوت الغناء
يتسلل إلى أذنيهما ، مما يدل على أن الرجل يستمع
للمغنياع ، وفى الغالب هو مصاب بصمم خفيف ..

- « ياله من مهمل ! الزوجة وحدها فى الدار وهو

حمايتها الوحيدة ، وبرغم هذا يترك أمثالنا يمرون ..
كيف يكون الحال لو لم نكن نحن المتسللين ؟ !»

فى غيظ همس (تختخ) وهو يتقدم المسيرة :

- « فيما بعد يمكن أن نشكوه إلى الإدارة ، أما الآن
فهذا فى صالحنا .. لو كان أكثر يقظة لرماتنا
بالرصاصة .. »

وتحرك الصديقان وسط الأحوال عبر الحديقة
المظلمة ، ولم يكن هناك ما يهديهما إلا الشعاع
المنبعث من الكشافين ..

مسح (تختخ) الزهور بالكشاف ، ثم غمغم والماء
يسيل من حاجبيه كثيفاً :

- « كان علينا أن نصحب (نوسة) هنا .. أين الزهور
المختلفة التى وصفتها ياترى ؟ »

★ ★ ★

٦ - ليمون وما إلى ذلك ..

(عبير) التى صارت (نوسة) فى غرفتها تفكر ..
عقدت رباط قميص النوم حول عنقها ، ثم دنت من
المرأة لتتأمل وجهها .. الحق أنها لم تكن جميلة فى
هذه المغامرة .. كان لها وجه عظمى نحيل بارز
الوجنتين ؛ ربما هو من أقيح الوجوه التى حملتها منذ
عرفت (فانتازيا) .. ثمة نوع من الرقة الرهيفة فى
ملامح الوجه ، لكن لاشيء سوى هذا .. بالواقع كانت
أقرب إلى (محب) لو أن شعره استطال قليلاً ..
وتساءلت فى حيرة :

- « هل يحبنى حقاً ؟ لا أظن .. هو فقط يحب الحب
كما يفعل المراهقون جميعاً ، ولم تكن هناك واحدة
تصلح سوى ، لأن (لوزة) مجرد طفلة .. »

وتأملت المطر المنهمر الذى يسيل دون انقطاع
على زجاج النافذة ، وارتجفت .. أخوها (محب) هناك
تحت هذه السيول والبرد القارس .. أخوها
(وعاطف) و .. (تختخ) ..

لماذا لم يعودوا ، ولماذا لم يبلغ (تختخ) خطته ؟
لأنه عنيد لا يتراجع أبداً .. لأنه إحمق .. لأنه يعقت
أن يكون مخطئاً ..

وتذعرت الورقة التي أعطاها إياها خلسة .. ترى
ماذا فيها ؟ كانت تعرف بالتقريب ، لذا أثرت أن توجل
هذه اللحظة ، لأن قراءة الخطاب ستلقى بمسئولية
لا بأس بها على كاهلها : أن تخبر (محب) أو تقول
لـ (تختخ) أن يكف عن هذا الهراء ...

تناولت الورقة وفتحتها في حذر ..

★ ★ ★

كانت مليئة بأشياء لا علاقة لها بالحب .. مجموعة
من الاستنتاجات المرتبة على طريقة (تختخ) وبخطه :
المرء يخفى لثلاثة أسباب لا رابع لها :

1- الموت : سواء عن طريق القتل أو الانتحار
أو في حادث . هنا يجب وجود دافع أو وجود جثة
أو كليهما . يظل هذا الاحتمال الأرجح ويضع أماننا
مشكلة هي العثر على الجثة . يمكن لمن يموت أن
يختار أماكن عجيبة لجثته ، مثل قاع النيل
أو الصحراء . هذه مشكلة لا بأس بها .

2- الاختطاف : هنا لابد من جهة ما تعلن
مسئوليتها وتطالب بفدية . حتى هذه اللحظة يظل هذا
أضعف الاحتمالات مادام أحد لم يعلن دوره .

3- الهرب : الهرب من الديون أو من تهديد
معين . يظل هذا وارداً بشدة . وعلمنا أن ننفي هذا
الاحتمال قبل أي شيء آخر .

وخطة العمل كما أراها تتلخص في النقاط التالية :

1- التأكد من أن الفقيد لم يدفن في الحقيقة .

2- ترتيب عمل دوريات تمسح طريق المطار بحثاً
عن جثث ملقاة حيث لا يراها أحد . هذا بالطبع يحتاج
لمعونة المفتش (سامي) .

3- التأكد من الحالة المالية للفقيد قبل اختفائه .

4- عمل طعم معين لاجتذاب الفقيد لو كان حياً .

(توفيق خليل)

★ ★ ★

قرأت (عبير) السطور ، ووجدت أن كل هذا قيل
من قبل .. هو فقط مرتب بطريقة منسقة جميلة .. وهو
فن تحويل الآراء المبعثرة إلى منهج متكامل
محكم .. يبدو أن (تختخ) لم يرد بهذه الورقة
إلا إعطاءها الطباع الانبهار بنكته وترتيب أفكاره ..

تأملت الورقة بضع دقائق ، ثم لاحظت أنه وقعها باسم (توفيق) .. هذا غريب وليس من عاداته ، ومن النادر أن يفعلها إلا نيلفت النظر إلى شيء غريب في محتويات الخطاب ...

كان قد فعلها من قبل حين أسره (كمال) قى (لغز الشبح الأسود) ، وأرغمه على كتابة خطاب يستدرج به أصدقاءه إلى القصر المهجور .. وكانت (لوزة) هي التي لاحظتها وشمّت من الخطاب رائحة الـ ...

الليمون ! هذا الخطاب يفوح برائحة الليمون ..

كان معنى هذا واضحاً وسهلاً .. ثمّة خطاب آخر مكتوب بحبر سرى فوق هذا الخطاب المكتوب بحبر عادى ..

غادرت غرفتها واتجهت إلى غرفة القسيل فى القللاً حيث تحفظ والدتها بالمكواة الكهربائية .. كان الوالدان نائمين فى عمق ، وهما يحسبان أن (محبب) نائم فى غرفته .. كيف لو عرفا أنه يتبش حديقة جار فى المعادى تحت الأمطار وفى الظلام !

وضعت القفشة فى القابس فتوهج المصباح الأحمر ، ورحلت فى صبر تنتظر أن ينطفئ لنبدأ تسخين الخطاب ...

كان الليمون هو أول حبر سرى تسمع عنه ، ثم عرفت بعدها عصير البصل . وأخيراً عرفت (كلوريد الكوبالت) الذى يمكنها الحصول عليه من معمل المدرسة .. كلها تستجيب للحرارة ثم يزول الحبر حين تبرد الورقة ما لم تحترق ...

هنا - لشدة غيظها - انقطع التيار الكهربى تماماً !

* * *

وفى الحديقة لاحظ (عاطف) أن النور الكهربى قد تلاشى من نافذة البواب ، فقال (تخنخ) وهو يواصل البحث بالكشاف :

- « لقد انقطع التيار الكهربى .. هذا ماس كهربى .. لا مشكلة هناك .. هذا يحدث كثيراً .. »

وأشار إلى جزء من النباتات لا يبدو على ما يرام ، وقال :

- « هل ترى ؟ أعتقد أن هذا هو ما عنفته حين تكلمت عن اختلاف النباتات .. إن (نوسة) دقيقة الملاحظة ولا تفوتها أشياء كهذه .. »

ابتسم (عاطف) بخبث .. فهو يدرك جيداً أن (تخنخ)

لم بعد يجد مزايا الإلدى (نوسة) فى الآونة
الأخيرة .. فيما مضى - حين كان شخصا طبيعيا - لم
يكف عن إطراء (لوزة) .. لكن (لوزة) الآن أصغر
وأكثر طفولة مما ينبغى .. لحسن الحظ كان الظلام
داسما والمطر كثيفا فلم يتبين (تختخ) ابتسامة
السخرية هذه ..

وبدأ الصديقان الحفر فى الطين ، وهو بطبعه حفر
سهل بالفعل ..

حفر سهل لكنه قذر !

ويصقا الكثير من الطين حتى أن (تختخ) شعر بما
شعر به (مكبث) بعد قتل (ننكان) : لو اجتمعت بحار
العالم كي تغسل هذا الدم - الطين فى حالتنا هذه -
ما استطاعت ..

بعد دقائق بدأ يتبينان شيئا ما ...

★ ★ ★



وبدأ الصديقان الحفر فى الطين ، وهو بطبعه حفر سهل
بالفعل .. حفر سهل لكنه قذر !

٧ - هاببيوس كوربوس ..

بيد مرتجفة مررت (عبير) المكواة الحديدية على
الخطاب عدة مرات ، بعدما عاد التيار الكهربى ،
وبدأت الحروف البرتقالية الباهتة تكشف عن نفسها
على استحياء :

- عزيزتى (نوسة) :

« هذا أول خطاب أكتبه لك فى حياتى ، وإن كنت
قد شملت رائحة الليمون ، كما أتوقع ، فبئنى فخور بك
كما أنا دائما .. »

« الموضوع هو ببساطة أننى لم أعد أحمل لك
مشاعر الصديق ولا الأخ ولا الزميل .. إننى أحمل
مشاعر من نوع مختلف ، أعتقد أنه يمكنك تخمينها
دون أن أقولها .. »

« الأمر الآن متروك لك والخطوة التالية بيدك .. لن
أصدع رأسك بالكلام عن السهاد الذى أعنتيه ، ولا احتراقى

ولها وشوقاً .. سأقول فقط إننى سأكون سعيداً لو قبلت
حبى ، وهو حب لم يكن وليد اللحظة بل هو نتاج
سنوات طويلة ومغامرات لاحصر لها واجتهاها معا ..
لقد عانيتا معا وفرحنا معا ، ولم بعد تتويج هذه الخبرة
بما هى جديرة به إثمًا أو حمافة ..

« أنا بانتظار ردك .. ولن يغفنى خطاب واحد لأننى
لا أئنس .. فقط ستكون كلمة الرفض القاطع النهائى
هى نقطة التوقف لى ، فلا تقولها أرجوك إلا بعد
تفكير ممحص ، لأنك ستقتلين بها ملايين الأشياء
الرائعة التى أذكرها - كبخلاء الجاحظ - لك ..

تختخ ..

انتهت من قراءة الخطاب ، وكانت السطور الأولى
قد بردت بعد التهابها السابق .. بردت عاطفياً وبردت
فيزيائياً ، ممسا جعلها تتلاشى ببطء .. وفى روح
(عبير) بدأ صراع العواطف الشرس ...

فى البدء كانت عاطفة الغضب : من يظن نفسه هذا
الأحمق كى يغازلنى؟! ألا عيب المراهقة تلك .. يحاول
تركيب عواطفه على أية فتاة .. أنا أكبر منه وأكثر
نضجاً وأفهم ما يبأى الاعتراف به لنفسه ..

ثم بدأت عاصفة الإعجاب تفصح عن نفسها :
أفكاره متماسكة ويعبر عن نفسه ببراعة لا تناسب
سنه .. ربما لأنه صبي مختلف في كل شيء .. ورغم
كل شيء هناك الكثير من التحضر والنضج في
الخطاب ..

بعدها بدأت سيطرة الشفقة : هذا البانس يحتاج
بشدة إلى حب ..

ثم الفخر الأنثوي : كم من فتاة في سننى تلقت
خطاباً كهذا ومن عبقري مثل (تختخ) ؟ بالطبع في
عالم الواقع لم تلتق (عبير) أى خطاب عاطفى
أو غير عاطفى ..

ثم عاطفة النفور تسود : أنا لا أريد .. ككل فتاة
كان لـ (نوسة) فارس أحلام ، وبالتأكيد لم يكن بادنًا
شحبياً له ذقن مزدوجة ..

الخلاصة هي أن (نوسة) - ككل فتاة مراهقة - لم
تعرف حقاً ما تريده ، ولم تدرك كيف تشعر .. فقط
أجهشت بالبكاء الحار وهمست :

- « يا إلهى .. يا إلهى ! »

وراحت تفكر في الحل الأفضل .. طبعاً ليس وارداً
أن يرى (محب) يعصبيه الشهيرة هذا الخطاب .. لن
تفسد بحماقتها تلك الصداقة التى دامت أعواماً ..

أما عن ردها على (تختخ) فالأمر هين ..
ستتظاهر بأنها أكثر غباء مما ظن ، ولسوف تزعم
أنها لم تر شيناً ولم تقرأ الخطاب بالخبير السرى ..
وكذا طوت الورقة بين صفحات كتاب العلوم ، ووقفت
ترمق الحديقة التى مازالت تستحم بالغيث فى
الظلام .. تفكر فى الرجال الغائبين ، والجنود الذين لم
يعودوا من الجبهة بعد ..

* * *

وكان الجنديان الرئيسيان فى هذه اللحظة عاكفين
- وقد توقفت الأظفار - على فحص ما وجداه ، ولم
يكن مثيراً للبهجة ..

فى البدء أخرج (تختخ) أجزاء من روب منزلى
ممزق ، وعلى ضوء الكشاف رأيا بقعا من دماء
عليه .. ثم وجدا أجزاء من منامة ممزقة بدورها .. ثم
خفاً منزلياً مما ينتعله الرجال .. كل هذا كان معجولاً
بالأحوال لكن من السهل تبين كنهه ..

تبادلوا النظرات ، واتسعت عينا (عاطف) رعباً ..
هذا ما كنا يتوقعاته دون زيادة ولا نقصان .. المهم
هنا أنهما لم يجدا الجمجمة المفزعة إياها ترمقهما
بضحكة الموت الرهيبة ..

قال (تختخ) وهو يقوم الأشياء تحت إبطه :

- « هذا كاف الآن .. تعال نعد »

وهرعا إلى السور يتسلقاه .. فجأة هتف (عاطف)
وهو يشير إلى المنزل الجاثم عبر الحديقة :

- « (تختخ) .. إن الباب قد فتح لثانية وكان هناك
من يقف وراءه ! »

- « هذا لن يغير خطتنا بصدد الفرار .. هيا بنا ! »

وتسلك الاثنان السور بكثير من الجهد ، بسبب أنه
صار زلقاً كالزجاج ، بعد كل هذه الأمطار .. وأخيراً
اعتليا السور ، وقذفا بالرفشين من عل ، ثم وثبا إلى
الأرض ، لتزلق قدماهما على الأسفلت المبتل .. كانت
سقطة عنيفة بحق ..

أسرعا إلى الشارع الجانبى ركضاً حيث كان

(محب) البائس ما زال بالانتظار ، ناصباً مبتلاً
كالجلجة التى سقطت فى ماء شربها ..

- « تبدو ان كديدان الأرض حين تخرج من
الطب ... »

هنا دوت صرخة عاتية أمرة من حيث الفيلا :

- « قف مكانك ! »

لم ينتظروا للتفاهم ، وقبل أن يصل القادم ليراهم
ركب الأصدقاء الثلاثة دراجاتهم ، وتدفعوا يسابقون
الريح وسط الشوارع المبتلة غير الموحلة .. فشوارع
المعادي لا تعرف الأوحال .. وهو مشهد يذكرنا نحن
بمطاردة الدراجات فى المشهد النهائى لفيلم (إى تى)
الذى لم يكن قد جاء للوجود فى تلك الأيام ..

بعد ثوان كانوا قد ابتعدوا عن مطاردهم ، ووصلوا
لديارهم ..

قال (تختخ) وهو ينفصل قاصداً داره :

- « هذه الليلة حمام دافئ ونوم .. فى الصباح
تلتقى عند (محب) لدراسة ما توصلنا إليه »

واتجه للحديقة كي يبدأ تسلق الشجرة إياها إلى
حجرتة .. بينما انفصل الأصدقاء كلٌ عائداً إلى داره ..

★ ★ ★

في الصباح بحثت الكلب في حديقة بيت (محب) ..
من الغريب أن تكون الشمس مازالت حية وقادرة
على كل هذا الدفء ، بعد الليلة الرهيبة القاتمة ..
شمس الشتاء بارعة الحسنى التى يغور الدم منها فى
العروق .. الوجوه المنتعشة الخارجة من ياقات
(البول أوفرات) ترشف الشيكولاتة الساخنة وتتكلم
بحماس عما كان أمس .. ثلاثة منهم بدأت ألوفهم
تسيل لأسباب لا تخفى على أحد ..

فوق المنضدة التى تتوسط المكان توجد منضدة
عليها جريدة مفتوحة .. والجريدة تحوى أشياء
غريبة : أجزاء من روب منزلى ممزق ، وبقع من
دماء عليه ، وأجزاء من منامة ممزقة بدورها .. ثم
خف منزلى مما ينتعله الرجال ..

كان لهذه الأشياء رهبة حقيقية ، كأنما هى جثة
محنطة ترمقهم بعينين شاحصتين .. وقال (تختخ)
وهو يتأمل المشهد :

— « هذا هو كل شيء .. لقد غسلت الأوصال
بالطبع .. »

وعلى طريقة المغامرين الخمسة ، بدأ تبادل الحوار
كما فى المسرحيات ، وهو فن يجيدونه بصفة خاصة ..
لوزة : لكلك قد أزلت البصمات بهذه الطريقة ..

تختخ : لا أحد يتكلم عن البصمات بالنسبة لأشياء
مدفونة فى الطين منذ أسابيع .

عاطف : من المؤكد أنها تخص الأستاذ (حسين
أبو شاذى) .. لا جدال فى هذا .

محب : لقد صار من واجبنا إبلاغ المفتش سامى .
نوسة : لكن هذا دليل على أننا تسلمنا إلى ملكية
لا تخصنا ، وهذا أمر غير قانونى .

عاطف : هذا ليس مبرراً لإخفاء آثار مهمة كهذه .
إن الضرورات تبيح المحظورات ، وما كان لنا أن نجد
دليلاً مهماً كهذا دون تسلل .

تختخ : فى الغالب لن يعاقبنا المفتش سامى على
تسللنا ، لكنه سيجن غضباً لو كتمنا سر ما وجدناه .

نوسة : هل تسمحون لى بخدمة ؟

تختخ : أى شىء .

نوسة : هلا توقفنا قليلاً عن طريقة الحوار
المسرحية هذه فأننا لم نأخذها .

تختخ : ليكن .

تهدت (نوسة) الصعداء وشعرت براحة حين
صار بوسعها الكلام بطريقة عادية ، وصار كلامها
مسيبوقاً بشرطة ومحاطاً بعلامتى التنصيص .. قالت :

« هل تعتقدون أن هذا يقوينا إلى الجنة الكاملة ؟ »

« فى الغالب نعم .. وهذا يضيق دائرة البحث

لنقتصر على البواب النوبى والزوجة .. »

« ولماذا تقتله الزوجة ؟ »

« للحصول على مبلغ التأمين . ألا تفرنين قصصنا

بوليسية ؟ »

فكرت قليلاً ثم قالت دون افتتاح :

« هل تحصل على التأمين من دون جثة ؟ »

كانت هناك قاعدة رومانية قديمة اسمها (هاببوس
كوربوس) (*) أى (اظهروا الجثة) ، ومن دونها يغدو
اتهام القاتل بالقتل ظلماً بيبناً .. ويصير إطلاق سراحه
حتمياً ..

(هاببوس كوربوس) .. من دونها يصعب اتهام
الزوجة ، ومن دونها يصير حصولها على مبلغ
التأمين مستحيلاً ..

هنا هتف (تختخ) فى توتر وهو يلف أطراف
الجريدة على ما وجدوه :

« الشاويش (على) قدام .. خذوا الحذر ! »

★ ★ ★

(*) نكرها للكاتب الكبير (محمود المصطفى) على لسان
الدكتور (لويس عوض) .. والواقعة مذكورة فى كتاب (الطريق
إلى زمش) ..

٨- الأرملة تهرب ..

ساد صمت رهيب بينما هم يتأملون الشاويش وهو
يدخل إلى الحديقة .. بشكل ما كانوا يعرفون موضوع
المناقشة وربما اللوم ..

رأوه يقف عند المدخل حيث ربطوا دراجاتهم ،
قيّامها في اهتمام ، ثم ينحني ليتفحص الإطارات ،
وكان معنى هذا جلياً ..

هنا استيقظ (زنجر) - كلبهم - من قيلولته الممتعة
في الشمس ، وقرر أن يمارس هوايته المحببة في
عض ساقى الشاويش .. انقض عليه نابحاً فراح
الشاويش يصرخ ويركل بساقيه مردداً بلهجته الريفية :

« فرقع من هنا أيها الكلب الأحمق ! »

نهض (تختخ) من مكانه ، وجذب الكلب من عنقه
ليهدنه بينما الشاويش لا يكف عن الشتائم والتهديد ،
وقد احمر وجهه كالطماطم :



نهض (تختخ) من مكانه ، وجذب الكلب من عنقه ليهدنه
بينما الشاويش لا يكف عن الشتائم والتهديد ..

- « هذا الكلب مسعور ! سأتخذ الإجراءات الضرورية لإعدامه ! »

قال (تختخ) وهو يحتضن كلبه ، بثبات اعتاده مع الشاويش :

- « لن يجروا أحد على إيذاء كلبى .. كل ما هنالك هو أنه رأى تقتحم الحديقة بلا استئذان باحضره الشاويش ! »

هنا ابتسم الشاويش بخبث وتأمل وجوههم :

- « هل حقاً أنا أول من يقتحم الحدائق بلا استئذان ؟ »

فى ثبات سألته (تختخ) :

- « أنت أولهم .. هل تتحدث عن شخص معين باحضره الشاويش ؟ »

قال الشاويش وهو يتأمل وجوههم بحثاً عن أول وجه يلين ، وقال :

- « ثلاث من دراجاتكم ملوثة بالطين أكثر من اللازم .. من المستحيل أن يحدث هذا اليوم .. هل

كان ثلاثة منكم فى مكان ما ليلة أمس ، فى أثناء العاصفة إياها ؟ »

لم يكن الأصدقاء ممن يكنون .. هنا تصوير للصمت قيمته .. لذا قال (تختخ) وهو يعود لمقعده :

- « لسنا مطالبين بالإجابة .. إن اتصاخ الدراجات ليس تهمة يعاقب عليها القانون »

- « لكن التسلل ليلار الآخرين تهمة عقابها للسجن .. هل كان أحدكم فى حديقة الأستاذ (حسين أبو شادى) أمس ؟ أنا كنت فى الحى ورأيت ثلاثة يثبون على السور خارجين من القيل .. وبرغم الظلام بدا لى منظرهم مألوفاً .. »

لم ير بوضوح .. هكذا فكر (تختخ) .. لقد وثب لثتان ليلحقا بالثالث .. على كل حال كان هذا حظاً سيئاً ، لكن الإكثار مازال وارداً ..

قال (تختخ) فى برود :

- « بدلاً من التحرش بنا يا شاويش ، لم لا تبذل بعض الجهد لتنظيف المعادى من اللصوص ؟ هل سرق شيء من فيلا الأستاذ (حسين أبو شادى) ؟ »

- « لا .. بالواقع لم تتقدم زوجته بالشكوى ، وأصرت على أن كل شيء على مايرام .. أصرت على الدخول وتفقد الحديقة .. كانت هناك آثار حفرة واضحة فى الوحل .. لا أدري عم كانوا يبحثون ، لكن يبدو لى أنهم وجدوه .. »

ثم ثبتت عيناه على الجريدة الموضوعة مطوية فوق المنضدة .. لو أن للنظرات قوة الفعل لاستطاع تمزيقها ليبرى ما بها ..

كانت (عبير) هى الجالسة عند طرف المنضدة البعيد عنه ، لذا - دون كلمة واحدة - فتحت للنافذة بدون أن تكشف ما بها ، وتظاهرت باقتطاع شيء ثم أخرجت يدها ونسبتها فى قمها ، وراحت تمضغ ببطء .. تذكرت على الفور ما فعلته الطفلة (فاتن حمامة) فى أول أفلامها (يوم سعيد) ، وكان عليها أن تلتهم الفت فى أثناء أحد المشاهد .. فرغ ما يطبقها سريعا لكنها ببراعة واصلت الأكل والمضغ حتى لا يفسد المشهد .. كانت (فاتن حمامة) فى السابعة من عمرها وقتئذ ، لكنها ابتكرت فن (البقتومايم) قبل أن تسمع عنه ..

الحقيقة هنا أن (عبير) اكتشفت أنها عبقرية فى فن التمثيل الإيمائى هذا ، وقالت للشاويش بغم ملء :
- « بسم الله ! إنه إفطارى .. هلم مد يدك »
- « سبقتك .. شكرا »

ثم بحث عن شيء يضيفه فلم يجد .. هنا قرر (تختخ) أن يحول الموضوع بتجاه آخر :
- « ما هى أخبار زوجة الأستاذ (حسين) ؟ »
قال الشاويش فى ملل ، وهو يرمق شهية (عبير) اللقائفة :

- « ماذا يهمكم فى الأمر ؟ على كل حال هى قد ينست تماما من العثور على بعها ، وتتوى ترك البلاد هذا الأسبوع .. »

تبادل الجميع نظرات مندهشة .. أبهذه السرعة إذن ؟ لو كانت للزوجة هى من ارتكب الجريمة ، فحن دانون مما يوشك أن يكون الجريمة الكاملة ، ويجب أن يعرف المفتش (سامى) كل شيء سريعا ..

- « هل ستلحق بأحد ولديها المقيمين فى الخارج ؟ »

- « لا ندرى .. هذا شأنها على كل حال .. »

تسائل (تختخ) :

- « وماذا عن القيل؟ وماذا عن مبلغ التأميم ... ماذا عن حقوقها المالية ومعاش زوجها وما إلى ذلك ؟ »

قال الشاويش :

- « إن محاميتها مفوض بالقيام بكل شيء .. يمكنه تولى الأمور خيراً بالتأكيد من هذه البائسة التى لا تفقه شيئاً .. »

ثم تذكر ما جاء من أجله من جديد :

- « الويل لمن أراه منكم قرب فيلاً الأستاذ (حسين أبوشادى) .. نحن لانمزح .. والقضية كبيرة لاتتعلق باختفاء قطعة جاتوه من الثلاثجة ، فلا تحاولوا لعب تلك الألعاب السخيفة التى تلعبونها .. »

واتصرف فى غضب كعادته .. نادرة هى المرات التى لا ينصرف فيها الشاويش غاضباً لآى سبب ..

بعد ما رحل ساد الصمت لبرهة ، وقال (تختخ) فى إعجاب موجهها كلامه - (نوسة) :

- « سرعة بديهة تحسدين عليها .. لم تكن إلائية ، ويسألنا بعدها عن محتوى اللغافة ، وهذا أسر بالغ الحرج .. »

وفى ذهنه همس : ليتها تقبل .. ليتها ! إننى أراها أجمل الفتيات لكنها أنكاهن أيضاً ..

قال (محب) فى عصبية :

- « الطير يوشك على الفرار .. »

- « هذا حق .. وقد صار إبلاغ المفتش (سامى) واجباً .. »

بعد لحظة صمت قال (تختخ) شارداً :

- « مازال هناك جزء ناقص من الصورة .. لماذا لم تتدخل الزوجة لمنعنا أمس إذا كانت قد رأتنا من فرجة الباب ؟ »

قال (عاطف) فى نفاد صبر :

- « الأمر واضح .. لم تكن بحاجة إلى شوشرة .. ولنفس السبب لم تقدم شكوى ما للشاويش .. »
عاد (تختخ) يفكر بصوت عال :

- « هل تجدان من الطبيعى أن تقتل الزوجة زوجها
إذا كانت من الطراز الذى تصفاته ؟ سيدة مجتمع فاضلة
يحبها الجميع ، ولا توجد خلافات بينها وبين زوجها ؟ »
قال (نوسة) / (عبير) :

- « اسمع يا (تختخ) .. يصعب القول إننا نعرف
الكثير عن تلك الأسرة .. والدئ يعرف الرجل جيداً ،
لكن لا أمى ولا أنا ولا (محب) نعرف المرأة جيداً ، وأنا
لم أراها منذ أعوام .. قد يحدث أى شئ وقد يستجد
ما لا نعلم .. »
وقال (عاطف) :

- « نحن عملياً نجهل كل شئ عن الخلافات التى
تحدث تحت سقف ذلك البيت .. أبى يتشاجر وأمى
كثيراً ، ثم يلتقيان الضيوف بوجه باسم وروح داعية
وتفاهم عاطفى كامل .. »

وأضافت (نوسة) / (عبير) وهى أكبر الخمسة
ثقافة :

- « كما يقول (ألفريد هتشوك) دائماً : كل إنسان
قد يقتل فى لحظة ما .. لا يجب أن يمشى القاتل بيننا

ملوثاً بالدماء وفى يده خنجر .. القاتل قد يكون سيدة
مجتمع فاضلة يحبها الجميع ، ولا توجد خلافات بينها
وبين زوجها كما تقول »

قال (تختخ) بعد صمت طال :

- « يجب أن تزور القنبلاً جديفاً وتجلس مع هذه
المسيدة .. »

- « والهدف ؟ »

- « إن الجلوس معها سيخبرنا ما إذا كانت فعلتها
أم لا .. نظراتها ستعترف .. أضف لهذا أن علينا معرفة
ما إذا كانت ستميزنى و (عاطف) أم لا .. »
- « هذه مخاطرة .. »

- « لكنها ضرورية إن كان لنا أن نمنح المفتش
(سامى) ما هو أكثر من الشكوك .. »

- « وحجة الزيارة ؟ »

- « علمنا بدنو سفرها .. هذا مبرر كاف .. »

ونهض الجميع إيماناً بالانطلاق ، وتأخرت (نوسة)
قليلاً فدنا منها (تختخ) ليكلها ، لكنها ناولته الورقة
التي أعطاها إياها أمس - قبل أن يفتح فاه - وقالت :

- « استنتاجات لا بأس بها يا (تختخ) .. »

بخيبة أمل تأمل الورقة في يدها ، وقال وهو يقربها
من أنفه :

- « ألم بلغت نظرك شيء ما فيها ؟ »

- « بلى .. لقد غيرت شكل كتابتك لحرف التاء ..
هذه التغييرات تحدث في سن المراهقة كثيرا ! »
ودون كلمة أخرى ركبت دراجتها ، وانطلقت لتلتحق
بالأصدقاء ..

★ ★ ★

٩- في دار الأرملة ..

أدخلهم البواب النوبي وهو يتساعل في سره
ونظراته عن سبب هذا الزحام .. كان يعرف (محب)
و (نوسة) وهذا جعله لا يتساعل أكثر ..

دخلوا إلى الحديقة ، وكانت ما زالت موحلة من
جلاء أمطار أمم ، فهمست (عبير) في حدة :

- « انزعوا الأحذية على الباب إذا أردتم ألا يلقى
بكم خارجا ! »

قرعوا الجرس ونزعوا الأحذية .. ها هي ذي
المسيدة (سلوى) قادمة .. تفتح الباب وتدهش
لرويتهم ، ثم تقرر أن تسمح لهم بالدخول ..

لم ير (تختخ) ما يريب في وجهها ، فقد كان يحمل
بقايا جمال ذبل ، ولم يكن يحمل شكوكا فيه أو في
(عاطف) ..

في الداخل كان المكان ينم عن ذوق لا بأس به ،

لكن الإهمال بدأ يتسرب إلى كل شيء .. كانت هناك قطع ثياب منقاة في الصالة ، وحذاء أثوى ملقى بإهمال جوار البياتو ، وفي الصالون وجدوا بقلبا وجبة إفطار على المنضدة الرخامية السوداء الموجودة في المركز ..

هذا طبيعي .. فالمرأة لا تملك ضمرا ، ولا بد أن مزاجها لم يعد رائقا سواء قتلت زوجها أو فقدته ..

في تهنيتي سألت (محب) عن مرافقي ، فقدمهم لها .. إنهم أصدقاء قدامى ونحن لم نفرق قط منذ سنوات عديدة ..

وسألها (محب) في تهنيتي :

- « هل صحيح أنك تتوبين الرحيل قريبا ؟ »

منت بدها إلى مندبلها .. وبدا واضحا أنها تحاول التماسك ، لكن الدمعة تمللت إلى وجهها الصلب فسالت على خدها :

- « الواقع أن هذا صحيح .. لقد فهمت أنني لن أرى زوجي ثانية .. هذا واضح ومن الحمق أن أزعج

سوى هذا .. لقد صار البيت أضيق مما تحتمل ذكرياتي ، لكنه أوسع مما تحتمل وحدتي .. لقد حان أوان الرحيل .. »

أدموع تماسيح هي ؟ هذا هو الخاطر الذي جال برأس الجميع .. لو كانت هي القاتلة فهي بارعة في التمثيل حقاً .. ولكن من يستطيع التأكد ؟ لاسبيل إلا المفتش (سامي) وقدرته على الضغط ...

جلس (تختخ) يتأمل القاعة ، وكانت هناك صورة على الجدار ، يبدو فيها رجل يتسم ببلاهة ، وله شعر طويل .. سألها في رفق :

- « هل هذا هو الأستاذ (حسين أبو شادي) ؟ »

ابتسمت وقالت في حزن :

- « سن سواه ؟ »

- « ظننته أصنع الرأس كما قالوا .. »

- « لا أحد يولد أصنع بياضتي .. هذه صورته في الثلاثينيات حين كان محتفظاً بشعره ، وكانت الموضة وقتها تقضي بإطالة شعر رأس الرجال ثم لصقه

بالبريأتين .. أنت ترى أفلام (أنور وجدى) القديمة
حين كان يفعل فيستطيل شعر رأسه فجأة ، ويسقط
على عينيه ! »

وراق لها الموضوع فنهضت إلى مكتبة جدارية
فتناولت ما بدا لهم كاليوم صور من الطراز القديم
الذى كانت الصور تلتصق على صفحاته ، وجلست
ودعتهم للجلوس حولها ليروا تلكم الصور العتيقة ..
كلها كانت بذلك الطابع البنى الزيتونى الخشن المميز
لأيام كانت الكاميرا فيها تسمى (فوتوغرافيا) ..

.. « هذه فى حفل تخرجه .. وهذه صورة زفافنا ..
هذه فى نزهة فى القناطر .. »

إلى آخر هذا الهراء المعتاد .. لكن الأصدقاء
أدركوا أنها كانت فاتنة بحق فى شبابها .. صورتها
أقرب إلى صور (ريتا هيوارث) و (إستر وليامز)
وغيرهما من نجومات (هوليوود) القديمات .. وكانت
هناك عدة صفحات خلست من الصور عمداً ، لأن
علامات لصق الصور كانت موجودة ، ثم توقفت عند
صورة تمثل مجموعة من الشباب - بعضهم مطربش

وبعضهم عارى الرأس - يتضحكون وأحدهم يلقى
بالآخر على منضدة متظاهراً بخنقه ، وسألت (محب) :

« هذه فى احتفال تخرجنا فى المدرسة السعيدية ..
هل تعرف من هذا الذى يخنقونه ؟ »

تأمل الصورة فى اهتمام ثم غغم :
« لا أعرف .. كل الشباب يلتقطون صورة
كهذه .. »

.. « هذا أبوك فى شبابه ! »

قالتها فى استمتاع ، فبدا الذهول على (محب)
و (نوسة) .. إذن أبوهما الصارم كان يعرف كيف
يمزح ، ولم يولد مقطباً كما يحلو له أن يظهر
أمامهما .. وكانت هناك عدة صفحات أخرى خالية ثم
بدأت صور الطفلين تملأ الساحة .. بعض الصور كانت
متناثرة لم تلتصق ، لذا راحت تضعها فى حجر ثوبها
حتى تفرغ من تصفح الألبوم ..

كانت هناك أوراق عتيقة ما بين الصفحات ..
توقفت عندها قليلاً ثم ارتجفت شفتها السفلى ،
وغغمت :



أخيراً دنت النار من أناملها فوضعت الكومة الملتهبة في مطفأة
تبغ معدنية أمامها ..

- « لم يعد يهم الآن ! »

ثم مدت يدها لتتناول عود ثقاب من علبة على
المنضدة، وأشعلته، وأمام عيون الأصدقاء المذهولة
أحرقت طرف الأوراق ..

تساعل (عاطف) في دهشة :

- « ماذا تحرقين يا سيبتي ؟ »

راحت تتأمل الجذوة المتزايدة التي تلتوى على
الأوراق شيئاً فشيئاً، وهمست في سرود :

- « أوراق خاصة لم تعد لها أهمية .. »

أخيراً دنت النار من أناملها فوضعت الكومة
الملتهبة في مطفأة تبغ معدنية أمامها، وراحت
مفتونة ترمق النار حتى انتهت، ثم نهضت لتفتتح
النافذة لتزيل الدخان المتراكم ..

- « أضحي بذراعي كي أعرف ما كان محتوى تلك

الأوراق ! »

قالها (تختخ) همساً لـ (عبير)، فهمست بدورها :

- « لن نعرف أبداً .. يمكنك الاحتفاظ بذراعك ! »

أخيراً ساد الهدوء ، فقال (تختخ) وقد أحس
بحرج الصمت :

- « الآن ياسينتى نرجوك أن نلننى لنا بالانصراف ..
ونشرك على حسن استقبالنا .. »

هزت رأسها وابتسمت ونهضت ، وهي تغمغم :

- « لكنكم لم تشربوا شيئاً .. »

- « كفانا الحفاوة واليوم الذكريات هذا .. »

وفى سره همس : كان بوسعك أن تقدمى لنا شيئاً
لو أردت .. فلا تتظاهرى بالعكس ..

قالت السيدة لـ (محب) :

- « المعروف للوحيد الذى أطلبه منكم هو ألا تخبروا
أحدًا بقرب رحيلى .. لاتخبر والدتك فانا قد كفت
عن مقابلة معارفى جميعاً .. لاتجعلوا الأمور أصعب
على »

وخرجوا من الفيلاً ، فأمسك كل منهم بدراجته يمشى
جوارها ، وراحوا يتبادلون الآراء عن هذه الزيارة ..

قال (محب) :

« كما ترون هى سيدة لطيفة .. وإن كنت أتساءل
عن سبب مقابلتها لنا مادامت اعتزلت الحياة ؟ »
قال (تختخ) فى ثقة :

- « لم تكن هذه الزيارة إلا محاولة لطرد بعض
الافكار من أذهاننا .. وأؤكد لك أنها تعرفتنى
و (عاطف) ، وقد دعيتا إلى الداخل كى ترينا أنها
حزينة مخلصة حقاً لو فكرنا فى شيء ما .. »

- « وحرق الأوراق أماناً ؟ كان بوسعها أن تؤجل
هذه الخطوة إلى ما بعد رحيلنا .. »

- « لن نعرف أبداً ، لأننا لانعرف محتوى هذه
الأوراق .. »

وبعد صمت أردف وهو يركب دراجته :

- « لايد من الاتصال بالمفتش (سامى) الآن ..
ليس من سلطتنا منع المرأة من السفر .. »

وقبل أن يرحل همس لـ (نوسة) :

- « افتحى نافذة جرتك فى الثامنة مساءً ..
لاتنسى هذا ! »

★ ★ ★

١٠- اختطاف أم ..

فى الرابعة بعد الظهر توقفت سيارة المفتش (سامى) أمام بيت (تختخ) ، وكان (تختخ) ينتظر الرجل ، وقد أعد جلسة فى الفناء الخلفى ، وأعد - بالطبع - الكيس الذى وضع فيه ماوجده فى الحديقة ..
قال المفتش :

- « كالعادة يا (تختخ) أنت تسبقنا أو نتحرك معنا بنفس السرعة .. »

وأفرغ محتويات الكيس على المنضدة ، وراح يتأملها فى اهتمام ، ثم قال بصوته العميق النفاذ :

- « هذا لا يدل على شيء .. أنتم لم تجدوا إصبع قدم الرجل ولا أنفه بعد .. »

قال (تختخ) فى حماسة :

- « لا أحد يدفن روبيا أو مفامة ملوثين بالدم فى حديقته بدون سبب وجيه .. »

- « أنا معك .. لكن القاعدة هى أن نجد الجثة .. نسوف استصدر أمرا من النيابة بتفتيش البيت ونبحث الحديقة .. لكنى أعرف جيدا أنه لا مشكلة هناك .. لن نجد شيئا ، ولن نوجه اتهاماً للزوجة .. »
- « ولماذا ؟ »

أشعل المفتش لفافة تبغ ، وقال فى خطورة :

- « الرجل اختطف .. نحن الآن واثقون من هذا .. كما أننا واثقون من أن مختطفه قتلوه ! »

* * *

فى زهول تساعل (تختخ) وهو يشعر بوهن بالغ :

- « قلت إنه ما من جهة أعلنت مسئوليتها .. »

- « حقاً كنا نحسب هذا .. لكن الزوجة كانت قد تلقت تهديداً بقتل زوجها لو أبغلت الشرطة .. بعد الاختفاء بيومين جاءتھا المكالمة التقليدية التى تطالب بضرب ألف جنيه ، توضع فى مكان معين من الحديقة اليباتية ، وإلا ... »

- « ولماذا لم تخبرني بهذا ؟ كان هذا سيوفر
المغامرة الليلية الرهيبة وابل المطر الذي تلقّيته .. »
- « أولاً : لم أحسبك مجنوناً لتفعلها .. ثانياً : نحن
لا نملك أى دليل على براءة الزوجة إلا هذه المكالمة ،
ومن الممكن دائماً أن تتفق مع أحدهم ليتصل بها فى
منزلها ويؤدى سطور التمثيلية .. »

« إذن أنت لا تصدق .. »
- « .. ولا أكنّب .. أنا متعادل .. والفصل هو نبش
الحديقة بحثاً عن جثة الزوج .. »
- « وهل هذا دليل على كون الزوجة قُتلته ؟ »
- « غالباً هو كذلك .. لا تنس أن المختطف وعد بأن
تظهر الجثة فى الحديقة اليابانية لاحديقة الفقيد .. »
- « وهل تراقبون الحديقة اليابانية ؟ »

ابتسم المفتش فى ثقة وقال :
- « أشياء كهذه لا تفوت رجال المباحث .. هذا
عملنا .. وإن كنت أتمنى معرفة الطريقة العبقريّة التى
سيخلون بها جثة إلى هذا المكان .. »
ثم لف الكيس على محتوياته وقال :

« أصابها الهلع لأنها لم تكن تملك مليماً ، ولم
تعرف ما تفعله ، ثم قررت أن تقترض المال من
مصدر معين ، واتجهت فى حماقة لتضعه حيث طلب
منها فى الهاتف .. ولم تنتظر لتعرف مصير المال .. »

« طبعاً لم يعد زوجها ولم يظهر المال .. وفى
النهاية اضطرت لإبلاغاً منذ يومين بما حدث ، وقد
راقبنا جهاز الهاتف الخاص بها ، وبالفعل تلقت أمس
مكالمة فشلنا فى تتبعها يقول صاحبها : لقد أبلغت
الشرطة ، ويمكنك أن تشترى ما يلزم من القهوة
السادة لزوم الغداء فى الفقيد .. ستجدين جثته بعد
أيام حيث وضعت المال ! »

« كانت المكالمات سريعة وفى الغالب كان مصدرها
هاتفاً عمومياً .. وكان صوت المتكلم خشناً جديراً
برجال العصابات .. هكذا يمكن القول إن الموضوع
منته ولا دخل للزوجة فيه .. »

« هذا هو السبب فى كونها تتعجل الرحيل .. إنها
خائفة ولم يعد شيء يربطها بهذا البلد .. »

هتف (تختخ) فى خيبة أمل :

« سنقوم بتحليل الدم الموجود على هذه الثياب .. إننا لانملك قطرات من دم الفقيد ، لكننا على الأقل نعرف فصيلته من صورة البطاقة الضوئية .. لو لم تكن هذه القطرات من الفصيلة A يمكننا أن ننسى أمر هذه الثياب تماماً .. »

وابتسم ودعا (تختخ) ألا يفقد حماسه .. إن الحل قد بدأ يدنو ...

★ ★ ★

(عبير) / (نوسة) تعود إلى دارها مرهفة جائعة ..

ما إن تدخل الدار حتى تجد جواً من (النكد) المميز والذي لا يخطئه المرء أبداً .. وتسألها أمها في عصبية وجفاف أدنى إلى القسوة :

« أين كنت ؟ »

قالت وهي تنزع حذاءيها :

« كنا نحقق في لغز ما .. موضوع اختفاء الأستاذ (حسين أبو شادي) .. »

« كنت مع (تختخ) و (عاطف) ؟ »

« طيفاً يا أمه .. و (محب) أخى و (لوزة) كذلك .. ماذا ترمين إليه ؟ »

قالت الأم وهي تبدأ وضع الأطباق على مائدة الطعام :

« اسمعي يا (نوسة) .. إن هناك أشياء لا بد أن توضع في نصابها ، ومن الخير أن أتكلم أنا وليس أبناك .. لقد كبرت كثيراً ، ومعنى أنك كبرت أن هناك نوعاً معيناً من القبول والمسئوليات ، التي نرغبنا للمجتمع عليها .. وهذه القبولات تتضمن نوعاً من ... لنقل التحديد بدلاً من المنع .. إن هناك حداً للقاءاتك بهذين الولدين : (تختخ) و (عاطف) .. »

تحسّر صوتها شأن من بوغت باتهام لم يتوقعه ، وغمقت :

« لكننا نلتقي دائماً معاً .. كلنا .. (لوزة) و (محب) أخى .. ودائماً ما يكون اللقاء في دار أحدنا وأمام والديه .. »

بعصبية وضعت الأم الطبق الذي تجمله على المائدة في نوع من الاحتجاج الصاخب ، وقالت :

« أنت كبرت يا حمقاء ! كيف أشرح لك ؟ لقد كبرت وعليك أن تطيعي كلامي حتى لا ... حتى لا .. »

ثم وجدت العبارة المناسبة، فصاحت :

« حتى لا أهشم ضلوعك ! »

دخلت (نوسة) / (عبير) إلى حجرتها وهي تشعر
بارتيك بالغ .. الأمور تزداد تعقيداً بحق .. المشكلة
هي أنها تعرف أن أمها محقة تماماً .. لو لم يكن
(تختخ) يلعب لعبة (قيس بن الملوح) لأمكنها الجدل
بحماس أكبر ، لكنها أول من يعرف أن الأمور لم تعد
كما كانت ولن تعود ..

إن جدران السجن تضيق علينا أكثر كلما كبرنا ..
وهي مستعدة دون شك للتخلي عن أنوثتها وانضمامها
لعالم النساء مقابل احتفاظها بصداقة الخمسة .. لكن
(تختخ) وربما (عاطف) لن يتخليا عن رجلتهما ..
لا يمكنها عقد مؤتمر صلح تدعو فيه الآخرين إلى
تجاهل ضرورات الفسيولوجيا وتغيرات النمو .. لقد
صاروا رجالاً وصارت امرأة ، ولم يعد شيء كما
كان ..

يوماً ما ستنتهي هذه الصداقة ، وسينضم الفتية

إلى مصكر الأعداء ، بينما تنخل هي إلى خدرها مع
النساء الأخريات بانتظار العريس ..

تباً ! ليس النمو بهذا الجمال كما تحسبه ..

وبعد الغداء أخذت إلى نوم متقطع لم تصح منه
إلا في السابعة مساءً مع شعور بالذنب .. الأيام
الأخيرة للإجازة تلفظ أنفاسها بسرعة هائلة ، ثم تجيء
المدرسة من جديد .. لماذا تضيق كل هذا الوقت في
النوم بدلاً من عمل شيء مسل ؟

وفي الثامنة مساءً طارت قطعة حجر مغوفة
بالورق ، لتدخل من نافذة غرفتها ...

* * *

١١- أكبر منا ..

فتحت الورقة فوجدت الأبيات التالية من الشعر :

« تذكرت ليلي والسنين الخوالي
وأيام لا نخشى على اللهو ناهيا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها
أو شابهه أو كان منه مدانيا
فأنت التي إن شئت أشقيت عيشتي
وأنت التي إن شئت أنست باليا
خليلى إن ضنونا بليلى فقربا
لى النعش والأكلان واستغفرا ليا »

هذا الشعر يحوى اسم (ليلي) فمن الواضح أنه
يخص (قيس بن الملوح) ، وهو عاشق نحوح آخر
ممن لا يهتمون لحظة أو يملون ما يعملون ..

تباً ! هو ذا (نختخ) يلعب لعبة المراهقة كاملة ،
ومن العسير للتخلص منه الآن .. إن الأبيات رقيقة
بحق ، لكنه لم يكتبها .. والمشكلة هنا هي أنها لا تستطيع

أن تزعم أنها لم تقرأها .. لابد من مواجهة الأمور
بصراحة وحكمة ..

وبشكل لا يهدم أو اصر الصداقة ، أو يفتت الفريق
الخماسى ..

رباه ! لماذا أنا بالذات ؟ لماذا ؟ لم لا يحب أية ممثلة
حسنا كدأب المراهقين ويتركنى وشأنى ؟

* * *

لماذا يصر هؤلاء الشعراء القدامى على مخاطبة
صديقين فقط ؟ (متى أضع العمامة تعرفاتى) ..
(قف تبك من ..) (خليلى قربا ..) .. إلخ ..

لابد أن نسأل عن هذا الموضوع فيما بعد ..

* * *

وعاد (نختخ) إلى داره بعد ما أتم مهمته
العاطفية ، بالمقلاع الصغير الذى كان يقذف به
الجيران بالطوب فى طفولته .. طريقة مراهقة لكن من
قال إنه ليس مراهقا ؟ ثانيا هو لا يستطيع الانفراد
بـ (نوسة) و (محب) ملصق بها كالنباية ..

وكان بانتظاره هاتف من المفتش (سامي) يخبره
بأن :

- « السدم من نفس فصيلة الأستاذ (حسين
أبو شادي) .. هذا لا يدل على أنه هو ، لكن الأمر جنير
بالاهتمام .. »

- « عظيم .. هل ستقومون بنيش الحديقة ؟ »

- « في الصباح على الأرجح .. »

وودع (تختخ) المفتش وتمنى له ليلة طيبة .. ثم
استلقى في فراشه وراح يعيد نسج خيوط هذه القصة
بحثاً عن شيء فاتته ...

منامة منوثة بالدم في الحديقة .. لو لم تكن هذه
في القصة لكان كل شيء على ما يرام منسجاً مع
نظرية الاختطاف ..

كل هذا غريب .. غريبissime ..

وغاب في نعاس عميق أيقظه منه صوت الهاتف
بعد ساعة تقريباً ..

رفع السماعه لسمع صوت (نوسة) الهادي ،
فتواثب قلبه في ضلوعه ..

- « مساء الخير .. هل تمت ؟ »

- « لم .. لا .. لا .. »

- « لقد قرأت رسالتك .. »

- « وكيف عرفت أنها رسالتي ؟ »

لم تقع في الفخ ، ولم تعترف بأنها قرأت رسالة
الحير السري ، بل قالت في هدوء :

- « أنت من طلب مني فتح النافذة في الثامنة

مساءً .. هل تذكر هذا ؟ »

- « أتعني ألا تكون قطعة الطوب قد هشمت شيئاً
ثميناً .. »

- « نعم .. قد هشمت سلامي النفسي ، وإني لأسألك

سؤالاً واحداً : طلباتك ؟ »

ارتبك وتحشرج صوته .. واضح أن المعركة
خاسرة .. لهجتها تقول كل شيء .. قال بعد ما ابتلع
ريقه :

- « هل بعد ذلك بعد .. أو قبل ذلك قبل ؟ »

- « هل أنا مطالبة بشيء ما ؟ »

« مطالبة بأن تحببني ، فإن لم تستطعي دعيني
أحبك .. »

قالت في لهجة حاولت أن تنزع منها أية غلظة :

« يمكنك أن تحبني إذا أردت ، مادام هذا لن ، يجعل
حياتي جديماً .. وما دمت لن تطالبني بشيء .. »

« هل ستكونين لي أبداً ، و يوماً ما تقبلين الزواج
منى ؟ »

قالت في كياسة :

« (تختخ) .. يوم نبدأ للكلام عن الزواج ؛ سيكون
هذا بعد عشرة أعوام من الآن على الأقل .. من
يدير ؟ ربما تكون القيامة قد قامت أو الحرب النووية
قد نشبت ، وهذا يجعل كلامنا غير ذي موضوع .. »

كانت أكبر منه سنّاً (بما أنها عبيير) وكانت تعرف
الحقيقة بجلاء :

« لسوف تلفي من هن أجمل منى وإنكى منى ..
ستعرف طبيبات .. مبرمجات للعقول الإلكترونية ..
رسامات .. دبلوماسيات تحت التمرين .. ستكون فتاتك

واحدة منهن ، ولسوف تندهن كيف أنك أحببت مثلى
يوماً ما .. صدقتي .. هناك (نومات) كثيرات في هذا
العالم . »

« لكن لا توجد (أنت) أخرى .. »

« بل لا توجد (أنا) أخرى في الوقت الحالي ،
وهذا ما يجعل وجودي نوعاً من العرج في حارة
المكسحين .. أنت تمر بحالة من (إذا لم تجد ما تحب
فحب ما نجد) ، أو (إذا لم أكن قرب الفتاة التي أحبها
سأحب الفتاة التي أنا بفربها) .. والآن وداعاً ..
اشرب كوباً من اللبن الدافئ ونم ، وحاول أن تفكر في
نغز الزوج المختلف قبل أن تهزمك الأحلام .. »

ووضعت السماعة قبل أن يرد ...

★ ★ ★

عند منتصف اليوم التالي اجتمعوا في حديقة
(عاطف) ، وحكى لهم (تختخ) كل ما حدث أمس
(طبفاً لم يحك موضوع الرسالة) ، ولاحظت (نومة)
أنه لم يعد يوجه لها الكلام .. من الواضح أنه أعقل
مما حسبت ..

وانتهى (تختخ) كلامه قائلاً :

- « .. وقد اتصل بى المفتش (سامى) من نصف ساعة ليخبرنى أن نبش الحديقة لم يسفر عن شيء .. سوى نوبة بكاء هستيرى أصابت الزوجة التى فوجئت بكل هذا .. لقد أتلفت الحديقة تماماً ، لكن هذا كان ضرورياً .. والآن ما تعليقاتكم ؟ (لوزة) ؟ »

قالت (لوزة) وقد احمر وجهها حماسة :

- « هذا يجعل قصة الاختطاف هى الأرجح ، وأعتقد أن دورنا انتهى وستظهر الجثة حتماً ، لكننا لن نجد اللص .. »

قال (عاطف) فى جدية :

- « بالعكس .. لم يستجد شيء يلغى احتمال قتل الزوجة له .. يمكنها دوماً أن تنقله فى مكان غير الفيلا .. »

وقال (محب) :

- « ... وربما تبقت بعض آثار لعملية القتل ، فكان عليها أن تداربها فى الحديقة .. »

قال (تختخ) فى فنوط :

- « على كل حال لم تعد هناك مشكلة .. سينتهى كل شيء غداً .. إجازتنا واللغز .. الزوجة ستسافر للخارج غداً .. يقول المفتش (سامى) إنه لا اتهامات ضدها ، ومن ثم من حقها السفر متى شاءت .. لا أعرف وجهتها لكنى لن أندش لو كانت مسافرة إلى بلد لا تربطنا به معاهدة تسليم المتهمين ، أو بلد لا ينتمى إلى (الإنتربول) .. »

صاحت (نوسة) فى هلع :

- « لكننا نعرف الحل دوماً فى اللحظة الأخيرة قبل انتهاء الإجازة .. هذه هى التقاليد .. لا يمكن مخالفتها .. »
- « للأسف كان هذا اللغز أكبر منا ، وكان معقداً فى كل شيء من اللحظة الأولى .. لقد كنت محقة فى البداية حين قلت : أخشى أن الأمر هذه المرة أكبر منا .. »

وساد الصمت ، ثم قال (محب) بعد تفكير :

- « هل تعتقد أن المتسول الذى قابلته ليلاً يمت بصلة لرجال الشرطة ؟ لو لم يمت لهم فمن المؤكد

أن له علاقة بالخطف ، وهذا يضع البواب النوبى فى قائمة الاشتباه ..

حك (تختخ) رأسه وقال :

- « هذا حق .. لقد فاتنى هذا فعلاً .. »

ثم حك رأسه فى عنف أكثر ، وأردف :

- « هل تريدون رأى؟ هذه القصة لن تحل إلا إذا

دخلت البيت نفسه اليوم ! »

بدا الجزع على وجوه الجميع ، وكلمت (نوسة) /

(عبير) أول من تكلم :

- « لا تفعل يا (تختخ) .. هذه مخاطرة لا يبررها

شيء ، وأنت تعرف أن رجال الشرطة فتشوا المكان

جيداً »

- « نعم .. لكنهم رأوا ما يمكن أن يحدث فى

وجودهم .. ترى ماذا يمكن أن يحدث فى غيابهم ؟ هذا

هو ما أتوى أن أراه ! »

- « لا نفهم .. »

- « أحب أن أرى ما تفعله الزوجة الآن وما تعده

لتضعه فى حقيبها .. ما هى الأوراق التى تتسوى
إعدامها أو حرقها ؟ ما المكالمات التى ستجربها ؟ ماذا
يفعل البواب النوبى الآن ؟ هل البواب النوبى هو
الأستاذ (حسين أبو شادى) نفسه ؟ »

كانت دهشتهم بالغة حتى إنهم عادوا لطريقتهم فى
الكلام بأسلوب المشرح .. وكانت (عبير) / (نوسة)
أول من استعمله برغم أنها تمقت هذا الأسلوب .

نوسة : هل جئنا ؟ البواب النوبى هو (حسين
أبو شادى) ؟ كيف ، ولماذا ؟

تختخ : من ناحية (كيف) هذا سهل .. أى شخص
يدهن وجهه بمسحوق الفلن المبحروق يغدو نوبياً ،
واللهجة بسهل افتعالها مادام لن يلقى نوبياً آخر ..
إن (على الكسار) قد علم الجميع كيف يتظاهرون
بأنهم نوبيون ..

أما بخصوص (لماذا) فهناك عدة إغراءات منها
الهرب من ديون أو مسئوليات تلاحقه ، والظفر بمبلغ
التأمين على حياته هو ..

لوزة : والمكالمة التى هدبت الزوجة بقتل زوجها ؟

تختخ : نحن لم نسمع شيئاً منها ، والمكالمة الوحيدة التى سمعها المفتش (سامى) قد تكون منققة ، وهذا ليس عسيراً .. ربما كان الزوج نفسه هو المتكلم .

محب : لكنك قلت إنه لا بد من ظهور الجثة ..
(هاببوس كوريوس) ..

تختخ : ربما كان بوسع الزوج التحايل على القانون أو رفع قضية بكسبها على الشركة ، ويرغمها على دفع مبلغ التأمين للزوجة ، وهكذا يكون قد نال ثمن وفاته وهو حي ، وسرعان ما تهاجر الزوجة ويلحق هو بها بعد قليل ..

نوسة : هذا تفكير بالغ التعقيد بالنسبة للرجل ..

تختخ : لكنه وارد ، ولا أجد وسيلة للتأكد منه إلا بنخول الفيلاً .. هذه الليلة !

* * *

١٢ - مغامرة ليلية ..

(لقد صار هذا العنوان مملاً)

وفى المساء دخل (تختخ) غرفته وأغلقها عليه ، ثم جلس أمام المرأة التى ثبتت المصابيح على إطارها الخارجى كغرف الماكياج فى المسارح ، وبدأ يتخذ معالم تنكره الجديد ..

* * *

أى شخص يدهن وجهه بمسحوق الفلنلين يغدو نوبياً ، واللهجة يسهل اقتعالها مادام لن يلقى نوبياً آخر .. إن (على الكسار) قد علم الجميع كيف يتظاهرون بأنهم نوبيون ..

* * *

لقد خطرت له الفكرة وهو يتكلم مع الأصدقاء ، ومن حينها قرر أن يكون هو البواب النوبى .. لم لا ؟ هذا قد يتيح له الكلام مع الزوجة .. صحيح أن لسانها لن ينزلق لأنه من المستحيل أن يكون تنكره بارعاً إلى هذا الحد ، لكنه - على أضعف احتمال - يتيح له أن يدخل

الغيلادون أن يشير الشكوك .. وثبتت العمامة على رأسه وتأمل وجهه فى المرأة .. لابس على الإطلاق ، ثم تلفظ بعبارة بلهجة نوبية :

« الميندو كورو ماتسوا سنبله .. أه سورى إهوانى ! » (*)

كان هذا جيذا ورضى عن نفسه كثيراً ، وكان فى أشد الحاجة لهذا لأن موقف (نوسة) منه هز ثقته الداخلية .. كان يحبها بحق ، أو هكذا حسب وما ظن أنها سترفضه .. لم يعترف لنفسه بأنها رفضته لأنه أصغر من اللازم أو أبداً من اللازم مثلاً .. قال لنفسه : إنها رفضته لأنه لم يأت بجديد فى هذا اللغز ، ولم يبهرها بعقله كما اعتادت ..

الليلة سيكون هناك جديد ، ولمسوف تبحث عنه فى الصباح مفتونة مبهورة ..

فرغ من التكر فغادر من فوق الشجرة إياها كعادته ، وركب دراجته قاصداً فيلاً الأستاذ المختفى ..

* * *

(*) يبدو أن القياساتنا من الأستاذ (محمود السعدنى) كثيرة اليوم .. للعبارة معانها بالنوبية (لقد مات أهل الشمال دون مقابل .. كم أن هذا مؤسف يا إخوانى !)

تسلى السور من النقطة التى اعتادها ، ثم مشى فى العمر ما بين الأشجار وهو يتلفت حوله خائفاً .. كانت الأنوار مظفاة كلها كما كانت أمس ، وواضح هنا أن الزوجة لم تعد تهتم بأن تبدو الغيلاد بهيجة .. كما أن آثار الحفر والتنقيب أحالت المكان إلى إحدى غابات الأمازون ، ولم تعد له علاقة بالحديقة الأنيقة المعهودة ..

أخيراً وصل إلى البيت ، فبدأ يدور من حوله . ثمة نافذة مواربة يمكن الدخول منها مع ارتفاعها الخفيض .. سكان هذا البيت يعانون من انطباع زائف بالأمان ..

يتسلى الحافة ، ثم يلقي بجسده البدين إلى الداخل .. كان فى قاعة مظلمة تفوح منها رائحة رطوبة قوية مما يشى ببدرهم أو شىء من هذا القبيل .. أطلق شعاعاً رفيعاً فرأى على ضوءه أنه لم يكن مخطئاً .. هذه غرفة كرار بها مخلفات عديدة ، وحقائب قديمة فارغة ، مع صفيين من قوالب القرميد ، وقصعة أسمنت .. وبعض أدوات البناء ولوازم السباكة ..

فتران ! يا للهول ! إنه يهابها برغم بدائته
وضخامته .. لم لا ؟ القيل يهاب الفئران بشدة لأنها
قادرة على قرص أقدامه .. و (تختخ) كان فيلاً آدمياً
يخاف كل ما تخافه الأفيال ..

ضرب بقدمه على الأرض ليثير فزع تلك القوارض
المريعة ، ثم واصل رحلته الاستكشافية ..

الآن هو فى الخارج .. يوجد سلم صاعد إلى أعلى
يقود إلى الطابق الأول .. يصعده فى حذر وهو يتوقع
مفاجأة قاسية فى أية لحظة .. المفاجآت هنا من نوع :
قف مكانك !! من أنت ؟

الآن يقف وراء الباب .. يفتحه وقلبه يتواثب ..
يرى البواب النوبسى الحقيقي يتقدم فى ثقة وسرعة
صاعداً الدرج الآخر الذى يقود للطابق الثانى . وكان
يحمل حقيبة كبيرة ..

هذا غريب ! كيف يتحرك البواب بهذه الحرية فى
بيت سيده ؟ الأمر واضح إذن .. هذا هو الزوج
متكرراً كما خمن (تختخ) تماماً ..

خرج (تختخ) بخفة من موضعه .. اتجه إلى الدرج ،



نسلق السور من النقطة التى اعتادها ، ثم مشى فى الممر ما بين
الأشجار وهو يتلفت حوله خائفاً ..

وتحركت فيه غريزة المخاطرة الشهيرة التى تتحرك لدى كل أبطال أفلام الرعب ، وتجعل المشاهد يشد شعره .. لماذا تدخل هذه الحمقاء القبو الملىء بتوابيت مصاصى الدماء وحدها ؟ ما الذى تحاول إثباته ؟

ما الذى تحاول إثباته يا (تختخ) أيها المتهور ؟ لماذا تصعد هنا فوق نفس الدرجات التى كان البواب يمشى عليها منذ ثوان ؟ لن يلبث أن يقابلك هنا ، وعندها لن تستطيع النظاير بأنك انعكاس صورته فى المرأة ..

كان (تختخ) يمشى فى حذر .. وجد غرفة مفتوحة فى نهاية الممر والضوء يتسرب منها ليفترش الأرضية .. كل شيء يدل على أن البواب هنا .. دنا أكثر واختلس نظرة من حيث لا يراه أحد لأنه فى الظلام ..

كانت الزوجة هناك أمام المرأة تصلح زينتها على ما يبدو ، والبواب يقف جوارها يتكلم .. لم يسمع شيئا من الحديث ، لكن الدهشة أصابته .. هذه هى غرفة مدم

(سلوى) إذن .. فكيف تسمح للبواب بدخولها ؟ من البداية كيف تسمح له بدخول الفيلا ؟ لو كان هو الزوج متكررا ، فإن الأمر يستحق الدنو أكثر لسماع ما يقال ، ولكن كيف ؟

كانت هناك غرفة ملاصقة لهذه ، بابها موارب ، وهى أقرب له من الناحية الأخرى ، وقدر (تختخ) أنها صالحة للتصت على ما يقال ..

هكذا تسلم إلى الباب ففتحه ، ودخل إلى الغرفة المظلمة .. أطلق شعاع الكشف مرة ليعرف أين هو ، فوجد أنها غرفة جلوس ، لكن أكثر أثاثها قد تمت تغطيته بالأغطية ، شأن من يتأهب لسفر طويل ، كما أن الأرض كانت عارية ، وقد تم طي السجاد .. بالتأكد حول لغافات من اللفلل كما هى العادة لطرد العثة .. وحتى النجفة فى السقف تم لحها لمنع الغبار من التسلسل لها ..

كان هناك باب موصد ، واضح بالطبع أنه يفصل الغرفة عن غرفة النوم ، وهكذا دنا (تختخ) بحذر من الباب ليلصق أنفه ...
بومب !

توقف قلبه ، وسقط على الأرض مع الوسادة التى سقطت .. كان لمسقطتها صوت مكتوم رهيب ، وتجمد (تخنخ) بضع دقائق وهو يدعو الله ألا يحدث ما يجب أن يحدث ..

بالفعل لم يحدث !

ومن جديد - وقد عاد قلبه ينبض - دنسا من الباب والصق أنفه .. صار بوسعه أن يميز المحادثة .. لا بد أنها كانت تدور على بعد مترين لا أكثر ..

وكان أول ما تكون لديه من انطباع هو أن البواب النوبى بالفعل بواب نوبى .. لهجته واضحة تماما ، ولو كان هو الزوج لما احتاج إلى افتعال اللهجة بينما لا أحد يراقبه ..

هذا البواب ليس هو الزوج إذن ..

أما الانطباع الثانى فهو أن ...

يا للغرابة ! مستحيل أن يكون هذا ! أية حماقة هى وائى غباء !

اضطر (تخنخ) المذهول إلى أن ينحنى ليختلس

نظرة من ثقب المفتاح .. لم يكن هذا مما يتماشى مع أخلاقه ، ولم يكن من هواة التجسس أو التلصص ، لكن القتلة أيضا لا يناسبون أخلاقه .. كل شيء جازل فى الحرب ..

كان بحاجة ماسة إلى أن يرى الحقيقة ، وهكذا اتحنى أكثر وركز بصره ، لكنه لم ير سوى ظل أبيض وراء الباب ..

ما معنى هذا ؟ هذا جلباب النوبى طيفا ..

يراه بهذا القرب لأن النوبى كان يدنو من الباب فى هذه اللحظة ، وفى اللحظة التالية لهذه انفتح الباب فينفذ بـ (تخنخ) إلى الوراء ، ورآه (تخنخ) يقف أمامه وعيناه البضاوان تتسعان فى وجهه الأنفوسى الأسود ذهولا ..

لا بد أنه حسب هناك خطأ ما .. من الصير أن يضبط المرء نفسه ينتصت من وراء باب ، ثم تغلب على ذهوله اللحظى وعاد للواقع ، وصاح :

- « من أنت ؟ من أنت ؟ »

★ ★ ★

١٣- أين هو ..

للمرة العاشرة مرّ (محب) بدراجته أمام نافذة (تختخ) ليجد النور منطفئاً ، ولا توجد علامة واحدة على وجود الفتى السمين ..

بالطبع ما كان ليجروّ على السؤال عنه مباشرة أو هاتفياً ، لأنّ والدى (تختخ) يحسبان ابنهما فى غرفته الآن ..

عاد لداره حيث كانت (نوسة) تنتظر فى قلق ، وقال لها :

« الثانية بعد منتصف الليل .. لست مستريحاً لهذا التأخير .. »

« والحل ؟ »

« لا أدري إن كنا قد بلغنا الخط الأحمر الذى نبلغ عنده المفتش (سامى) أم لا .. لكنى أرى أن الإسراع واجب .. »

« أخشى أن نفسد شيئاً .. لطالما تأخر (تختخ) وهذه ليست أول مرة .. »

« لا أدري .. هذه هى أول مرة لى بالنسبة لهذا القلق .. »

والحقيقة هى أنها كانت أكثر قلقاً ، وإن حرصت على ألا تظهر ما ينم عن هذا .. ليس فقط كى يهدأ (محب) ، ولكن أيضاً كى لا تعترف لنفسها بأنها تميل إلى الفتى ..

شئ طبيعى .. كذا قالت لنفسها .. أنا أقلق على (عاطف) وعلى (لوزة) كذلك .. لا ينبغى أن ينبع كل قلق من حب كالذى يتكلم عنه (تختخ) .. ربما ينبع من ألفة أو صداقة أو مودة .. نحن أصدقاء وسنظل كذلك ..

جلبت دفتر أرقام الهاتف ، وبحثت عن رقم الأستاذ (حسين أبو شادى) ، ثم أدارت الأرقام على القرص ، لا شئ .. صوت الرنين يتردد ولا أحد يرد .. هذا غريب ..

« إما أنها نامت أو تركت الدار .. »

- « من يجرى ؟ لربما قبضوا على (تختخ) وشعروا
بضرورة الفرار .. »

هنا - وفي لحظة لم تتوقعها - ارتفعت سماعة
الهاتف ، وقال الطرف الآخر بصوت أنثوى مرهق :
« ألو ؟ »

توترت يد (نوسة) على السماعة ، وللمحظة لم تدر
ما تقول ، ثم هتفت بصوت مبجوح :
« أنا (نوسة) يا طباط .. هل أيقظتك من
نومك ؟ »

ضحكت المرأة قليلاً ضحكة منهكة ، ثم قالت :

- « ماذا تتوقعين أننى كنت أفعل فى الثانية بعد
منتصف الليل يا بنيتى ؟ بالتأكيد لم أكن أكتب
سيمفونيتى المباحة .. »

- « إذن أنا آسفة .. فى الحقيقة .. أردت أن أطمئن
على أنك لم تسافر .. »

- « سأسافر غداً عند الظهر إن شاء الله .. هل
تريدين شيئاً آخر ؟ »

- « لا .. وآسفة على الإزعاج .. »

- « تحياتى لوالدتك إذن .. »

ووضعت السماعة بشيء من الصرامة والضيق ..
قال (محب) فى توتر :

- « ما رأيك ؟ هل تبدو صادقة ؟ »

مطت شففتها وغمغت :

- « لا أدرى .. كلما تقدمت فى العمر كلما أدركت
أنه من المستحيل تمييز الكذب .. ربما لهذا اخترعوا
جهاز كشف الكذب .. ربما هى صادقة و (تختخ) فى
مكان ما من الفيلا يعارس مهام تجسسه .. »

- « المفتش ولا أحد سواه !! »

قالها (محب) وهو يرفع سماعة الهاتف .. لكن يد
(نوسة) أوقفته ، وهمست :

- « لا تفعل .. ستننظر حتى الصباح .. قد يغدو
موقفنا غاية فى الحرج لو كان (تختخ) بخير ، ولن
تتنازل المرأة عن حقها القانونى ، لو عرفت من
المفتش أن الفتى تسلسل لدارها .. إنها المرة الثالثة
تقريباً ما لم تخنى الذاكرة .. »

ابتلع ريقه ، ووضع السماعة ، وغغم فى شروود
وقد أدرك أن كلامها صحيح للأسف :

- « حسن .. دعينا نحاول النوم .. »

- « نحاول نعم .. لكن من يستطيع حقاً ؟ »

* * *

وفى الصباح الباكر بدا واضحا أن (تختخ) لن
يعود .. لقد اتصلوا بداره فقالت الأم المذعورة إنه
ليس فى غرفته .. لا تدرى إن كان خرج مبكراً أم لم
يمض ليلته بها من الأصل ...

هكذا اتجه (محب) و (عاطف) إلى الفيلا ودارا
بفراجتهما حولها دورتين فلم يريا أثراً لشيء .. كان
البواب النوبى جالسا أمام المدخل يدخل المعسل ، ولم
يبد أنه لاحظ وجودهما ..

اتجها إلى أقرب هاتف وطلبا المفتش (سامى) ..
أخيراً دوى صوت الرجل المفعم بالثقة والقوة ، فلما
سمعا شعرا بطمأنينة كان (تختخ) عاد بالفعل ..
وحكى له (محب) القصة كلها فى كلمات سريعة ،
فقال فى غيظ :

- « كالعادة يتصرف (تختخ) بحمافة ، ويضعنا فى
موافق سخيفة .. سأجرد قوة تقوم بتفتيش الفيلا
الآن .. »

ومن مكانهما راح الصديقان ينتظران ، حتى رأيا
عربة المفتش (سامى) تصل إلى الفيلا والبواب
النوبى يلقي القادمين مندهشا ، كان يلوح بفراغيه
بحركات توحى بالنفث ، ثم جاءت عربة كبيرة بها قوة
من رجال الشرطة ، وسرعان ما أفرغت أحشائها
ليغيب عدد من الجنود داخل الفيلا ..

مرت نصف ساعة ، ثم خرج الجميع .. واضح
طبقا أن المفتش لم يجد شيئا .. كان متضايقا كما هو
واضح .. حتى من وراء عويناته المسوداء بدا متعكر
المزاج ، وجال بنظره حوله فأدرك أنه يبحث عنهما ،
كما لو كان متأكدا من أنهما داتيان ..

مشى كل منهما جوار دراجته ودنيا منه متوترين ،
فقال حين رأهما :

- « لاشيء .. ومن الواضح أنني كنت مخطئا
حين عهدت لمجموعة أطفال بهذه المهمة .. لقد اختفى

(تختخ) ولم يره أحد أمس ، وهذه مشكلة أخرى
تضاف لمشاكلي التي لا تنتهى .. لقد اعتذرنا لعدم
(سلوى) ، لكنها مازالت غاضبة وتشكر الظروف
التي ستجعلها ترحل اليوم بالذات .. »

ودون كلمة أخرى ركب سيارته ، وانطلقت
السريفة ، بينما العربتان تبعدان تاركين الصديقين فى
حيرة لا توصف ..

* * *

١٤ - الحل يتضح ..

فى دار (محب) جلسوا مهمومين يفكرون فى هذه
الكارثة ..

رجال المفتش (سامى) يمشطون المعادى بحثاً
عن الفتى البدين ودراجته دون جدوى .. لقد صار
عدد من يختفون دون أثر أكثر من اللازم فى المعادى
هذه الأيام ..

قالت (نوسة) وهى تنظر إلى ساعتها :

- « منتصف النهار دان .. بعد قليل ترحل المرأة
مع سرها إلى الأبد .. »
- « يا للكارثة ! »

راحت تفكر شاردة فى نواحي هذا النغز .. نظرية
الخطف .. نظرية الزوجة القتلة .. نظرية الزوج
المتكرر .. كل هذا .. هنا وجدت من يدخل الغرفة
فيحييهم ويجلس دون استئذان .. عرفته من صوت
قلمه قبل أن تعرفه من وجهه :

- « (المرشد) ؟ أية ريح شوم جاءت بك ؟ »

قال وهو يداعب زنبرك القلم :

- « هذا ترحيب مبالغ فيه يا (أليس) .. جئت لأصطحبك لأن موعد الرحيل قد جاء ! »
صاحت في عصبية :

- « كف عن هذا الاستخفاف بي ! القصة لم تنته بعد . ولا قيمة لها لو رحلت الآن .. لا تعاملني بمنطق مخرجي التلفزيون الذين يقطعون البرنامج قبل نهايته بربع ساعة ليقدّموا إعلاناً ! »

- « ولكن .. أنت تقليدية تحبين النهايات التقليدية ، وتمتعتين النهايات المفتوحة .. لكن هل لم تصلى للحل بعد ؟ أراك تنسين الكثير مما قرأته .. »

- « ماذا تعنى ؟ »

قالتها في شك وتوتر ، فقال :

- « تذكرى ما قرأته .. لقد كنا مع (مارك توين) في الكتيب السابق ، وهذا يذكرنى بموقف (هاكبرى فان) مع المرأة العجوز التى كشفت حقيقته .. هل تذكرينه ؟ »

قدحت زناد ذهنها بعض الوقت ثم هتفت :

- « يا إلهى .. هل حقاً تعتقد هذا ؟ »

- « أنا متأكد .. »

واسترخى فى مقعده ، وراح يقضم الجلد المحيط بأظفاره فى استرخاء ، وقال لها :

- « حاولى استعمال هذا الخيط .. سأغفو قليلاً حتى ينتهى اللغز .. »

سألها (محب) وهو يرمق الرجل فى شك :

- « من هذا ؟ ابنى أعرفه .. هذا هو (المرشد) .. أليس كذلك ؟ »

قالت وهى ترمقه وقد غاب فى نعاس عميق :

- « بلى .. إنه يؤدى دور (بلاسير) السينما بالنسبة لهذا العالم .. هو من يقودنى إلى مقعدى فى الظلام فى كل مرة .. والآن دعنا منه وتعال نسأل أبى عن الأستاذ (حسين أبو شادى) .. »

كان أبوها جالساً فى غرفة الجلوس يطالع الجريدة ، فلبوم إجازة .. ننت منه وطوقت عنقه بذراعها الأيمن

فابتسم مجاملاً كما يفعل الرجال حين تكون الجريدة
أحب إليهم فى لحظة بعينها ..

سألته فى رفق :

- « أبى .. أنت كنت صديقاً للأستاذ (حسين
أبو شادى) كما أعلم .. »

- « بالتأكيد .. وأعتقد أنه مرحوم الآن .. »

- « هل تذكر حفل التخرج من المدرسة السعيدية ؟
لقد رأيناك فى الصور فى أثناء قيامهم بخنقك ! »

احمر وجهه حياءً وغيظاً وغمغم :

- « المفترض ألا يسمح لكم برؤية صور كهذه ..
ما علينا .. نعم أذكر الحفل طبعاً .. أعتقد أن (حسين
أبو شادى) قد أخفى عنكم بعض الصور هو الآخر !
لقد ظللنا نغيظه أعواماً طويلة .. »

تذكرت (عبير) الصفحات الخالية من الألبوم ، وقلت :

- « هذا هو ما أسأل عنه .. ماذا حدث فى هذا
الحفل بالضبط ؟ »

ابتسم الأب فى ذكر لطيف وقال :

- « لاشئ .. لقد تذكر فى شكل امرأة على سبيل
الدعابة .. وكان تذكره مثقناً بطريقة غير عادية حتى إن
بعضنا أعجب بها ، ثم اتضح لنا أن صديقنا كان من
عابرة التكر .. بل وكان يغير صوته بالكامل .. طبعاً
لم يكن نبيوع هذه الدعابة شيئاً مستحباً وقتها ، وقد
حرص على أن يشتري كل ما التقط من صور تظهره
فى ثياب النساء .. لكنها دعابة لم ينسها أحد .. »

تبادلت (عبير) و (محب) النظرات ثم نهضت وعانت
إلى الأصدقاء ، وقلت متقطعة الأنفاس من الانفعال :

- « ما كنت لأشك فى هذا لو لم يلفت (المرشد)
الأحمق نظرى إلى قصة (هاكليرى فان) - (سارك
توين) .. لقد لاحظت أشياء كثيرة لكنها لم تثر
شكوى .. »

سألها (عاطف) فى غباء :

- « ماذا تعنين ؟ »

- « فى البدء لاحظت أن المرأة وضعت الصور فى
حجرها .. الرجال حين يقعون هذا يباعدون بين أرجلهم
ليحولوا حجر الجلباب إلى سلة حاوية .. أما النساء

فيضمّن أرجلهن .. طبيعي أن يتصرف الرجل لايس
لفستان كما يتصرف لايس للجلباب .. بعد هذا لاحظت
طريقتهما في إشعال الثقاب موجهة الشعلة نحوها عند
الاحتكاك ، كما يفعل أى مدخن نكر محترف ، بينما تشعل
النساء الأعواد مبعدات الشعلة عنهن .. لقد اكتشفت
العجوز في رولية (مارك توين) تتكرر (هكليرى فان)
في صورة فتاة بلخطاء صغيرة كهذه .. كل هذا هين ..

« لكن أبى يتكلم عن موهبة الأستاذ (حسين
أبو شادى) فى التكر والتصرف كالنساء .. ألا يضع
هذا بعض علامات استفهام هنا ؟

« بعد هذا نجد أن السيدة (سلوى) اعتزلت
المجتمع تماما وكانت من نجماته .. ترفض لقاء كل
صديقاتها ، ولا تسمح لأحد بلقاتها إلا من لايعرفها
أو لاينكرها .. إنها مقنعة كامراة لكنها غير مقنعة
كمدام (سلوى) ذاتها .. وعند أقرب فرصة تبادر
بالفرار خارج البلاد حيث لن يجدها أحد ..

« ما أعنيه هو أن الأستاذ (حسين أبو شادى) لم يمت
ولم يخطف .. من ممت هي زوجته مدام (سلوى) !! »

* * *

١٥ - الخاتمة ..

قال (عاطف) فى عدائية :

« كل هذه فروض سخيفة .. وماذا عن مكالمات
التهديد ؟ »

« نحن لا نعرف سوى مكالمة واحدة ، وفى الغالب
كان صاحبها البواب .. لاشك فى أنه يعرف كل شىء
وتعاون مع الأستاذ (حسين) بالكامل .. »

« والثياب فى الحديقة ؟ »

« خطة لإقناعنا إن (حسين أبو شادى) قد مات .
أعتقد أن الدم دمه بالفعل .. ما كان ليجد عسرا فى
جرح يده أو ساقه وتلوّث الثياب به .. كان يأمل فى
أن يفكر أحدهم فى اختلاف شكل النباتات وينبش
الحديقة .. عندها كانت فكرة موت (حسين أبو شادى)
ستأكد لكن الاتهام لن يكفى لاعتقال الزوجة .. أعتقد
أنه رأى عملية الحفر التى قمت بها مع (تختخ) من
بدايتها ، وأثر الصمت .. »

- « والدافع ؟ »

- « ياله من سؤال ! مبلغ التأمين طبعا .. سيحصل (حسين أبوشادي) على قيمة التأمين على حياته كاملة ، ويتخلص من زوجته التي لا بد أن هناك أسبابا لكرهيتها .. بعدها يسافر إلى الخارج ويبدأ حياة جديدة ، بينما يقوم محاميه هنا ببيع شركته والفيلة .. إنها الجريمة الكاملة التي ربما كانت لتنجح لو أجاد إشعال الثقاب للخارج ! »

- « والمتسول الذي رآه (تختخ) يدخل الفيلة ؟ »

- « رجل شرطة سرية على الأرجح انعقدت بينه وبين البواب صداقة .. نحن في الشتاء ، وكوب من الشاي قد يكون مستحبا . في أثناء ساعات الخدمة الطويلة »

ضافت عينا (محب) وسألها :

- « يبقى موضوع (هابيوس كوريوس) الشهير .. أين جثة الزوجة ؟ »

ابتلعت ريقها وقالت :

- « هذا أعقد سؤال أسمع اليوم .. بالطبع جثة الزوجة في ذات المكان الذي يوجد به (تختخ) الآن ! »

★ ★ ★

اتصلوا بالمفتش (سامي) الذي لم يكن على استعداد لسماع أى كلام عن (تختخ) ، ولا عن الأستاذ المفقود ، ولا أى شيء في العالم .. وقالت له (عبير) متوسلة :

- « أرجوك يا سيادة المفتش .. قد يكون (تختخ) في خطر الآن .. ربما هو دان من الموت .. إن مجريات الأمور تغريهم بالانتهاء منه سريعا .. أعطنا فرصة واحدة أخرى .. »

قال المفتش في ضيق :

- « سأعطيك الفرصة التي تريدين ، وإن كنت لا أدرى ما تتوقعين منى مادمت لن أَدْخُل .. »

- « فقط كن على مقربة منا لترى المشهد .. فإن كنت مخطئة تلقيت الإهانات وحدي ، وإن كنت مصيبة تدخلت أنت لحمايتي .. »

- « ليكن .. أين تتكلمين ؟ »

- « من دارنا .. »

- « سنأتى عربية شرطة تقلك إلى دار (حسين أبو شادى) حالا .. سأكون ذاتيا ، لكنى لن أتدخل حتى أقتنع .. »

ووضع السماعه ..

بعد عشر دقائق توقفت سيارة الشرطة المذكورة أمام البيت ، فهرع الأصدقاء يركبونها ، وأطلقت العربية تنهب الطريق نحو بيت اللقيد ، الذى يبدو أنه لم بعد فقيذا ..

وكان المشهد أمام البيت كافيا لتلخيص الموقف .. هوذا البواب يحمل الحقائب ، وثمة سيارة تقف وقد انفتحت حقيبتها الخلفية ، يبدو أنها سيارة استأجرتها السيدة هاتفيا ، وكانت هى واقفة تتأكد من وضع متاعها ، وقد وضعت عوينات سوداء تخفى بها وجهها وعينيها ، حتى بدت كامراة حزينة أخرى تنهى فصلا من حياتها ..

ترجل الأصدقاء ووقفوا مترددين بصدد الخطوة التالية .. قالت (عبير) لـ (عاطف) :

- « هلم .. دورك ! »

فصاح محتجا :

- « يا سلام ! أنت صاحبة الفكرة وعليك التنفيذ .. »

لم تناقش واتجهت فى ثبات نحو المرأة .. لم يكن ما تخشاه أن تكون مصيبة ويؤذيها الرجل .. كان الأكثر رعبا أن تكون مخطئة ..

وابتسمت السيدة فى مرارة حين رأتها وكادت تقول شيئا ..

هنا مدت (عبير) يدها ، ودون إ تذأر انزعزت الشعر المتلى على وجه السيدة .. رباها ! إنه ملتصق ثابت ! لكن لا .. الحمد لله ! كانت هذه أطول لحظة فى التاريخ بالنسبة لها ، لكن كل شيء على مايرام وها هى ذى الجملة تطير فى الهواء كاشفة عن الرأس الأصلى اللامع للأستاذ (حسين أبو شادى) .. كانت عويناته قد طارت بدورها ، فبدا وجهه عاريا مضحكا بالأصباغ التى وضعها وأحمر الشفاه ..

رجل أصلع يرتدى فستاناً ويصرخ من فرط
الصدمة ..

هوت يده الثقيلة على وجه (عبير) / (نوسة) ،
وصاح في غل وهو يستعيد جمته :
- « أيتها السافلة ! سوف .. »

لكن المفتش ظهر في هذه اللحظة لا تدرى من
أين .. كان المشهد في حد ذاته جديراً بالمشاهدة يثير
الشكوك ، وبهجة سينمائية خالصة صاح :

- « لا تتحرك يا أستاذ (حسين) .. أنت رجل مثقف
ولا ينبغي أن تعامل بالعنف .. لو لم نتهمك بتهمة
القتل لاتهمناك بتهمة التشبه بالنساء .. وهى تهمة
لا تمر على خير فى أى بلد حتى للولايات المتحدة ، مع
ما يحملون من تساهل نحو الحريات الشخصية .. »

تتهد (حسين أبو شادى) فى استسلام ، وترك
الجمعة تسقط ثم قال بخنوع :

- « حسن .. لكن اسمح لى أن أرتدى ثياباً لائقة
قبل أن نتكلم .. »

* * *



هنا مدت (عبير) يدها ، ودون إنذار انتزعت الشعر المتدلى
على وجه السيدة ..

وما لم يعرفه (تختخ) هو أن قبراً آخر كان
ينتظره فى الجدار إلى جوار الزوجة .. فلم يكن هناك
من حل آخر لدى الرجلين .. فقط كان على الزوج أن
يلحق بالطائرة ويتولى البواب كل شيء ..

لم يكن (حسين أبو شادى) باللطيف الذى تكلم عنه
من عرقوه ..

★ ★ ★

وبيتما هم فى لحظات مرحهم بعد الانتصار، رأت
(عبير) من بينو كغراب البين منها وهو يداعب قلمه
الزئيركى فى استمتاع، وقال لها وهو يتنأب:

- « حصن .. لقد انتهى كل شيء وساد العدل
الأرض .. هلا تصرفينا الآن ؟ »

قالت له متوسدة :

- « ألن تتركنى معهم بعض الوقت ؟ »

- « يمكنك العودة يوماً ما .. لكن البقاء هنا
يعرضك لتودد (تختخ) العاطفى، ويهدد الفريق كله
بالانقسام ؛ لأن (محب) سيتساجر معه ختماً .. ربما

وفى للبدر ومجدوا (تختخ) .. كان مكتم الفم مقيد
اليدين تحت كومة من قوالب القرميد تم وضعها بعناية
لتوحى بأنه ما من شيء تحتها .. كان منتهكاً خلت القوى ،
لكنه سرّ إذ رآهم ، وأراد أن يفاجئهم بما يعرف ، لكن
المفتش أشار إلى الرجل الملطخ بالأصباغ وقال :

- « أقدم لك الأستاذ (حسين) .. لقد عرفت (نوسة)
الحقيقة بالتفكير المنطقى دون مواجهات .. »

أما عن جثة الزوجة فقد كانت وراء جدار صناعى
قام الرجل ببنائه مستعملاً معدات البناء التى جلبها
البنّاءون والمرممون إلى قبو داره .. كانت هناك
ماسورة مياه مكسورة ، وقد ظل العمال يعملون هنا
ثلاثة أسابيع ..

ببساطة وضع الرجل جثة امرأته جوار الحائط ، ثم
بنى جداراً أمامها .. أى أنه صنع لها قبراً بسيطاً فى
بدروم داره ..

أما ما رآه (تختخ) فى ليلة أمس فهو مشهد
السيدة (سلوى) تنزع جمتها ، فإذا ما تحتها رأس
أصنع كالزجاج . كان هذا حين وجده البواب وأحضره
هنا ..

كان أجمل شيء الاتسحاب الآن .. فى ذروة
النجاح ..

هكذا صافحتهم دامة العينين واحدا تلو الآخر ..
طالت مصافحة (تختخ) لها بعض الشيء ،
ودمعت عيناه إذ قال :

- « لقد أنقذت حياتى ! »

- « هدفنا إسعادكم ! »

وهتفت وهى تبتعد ويدها فى يد (المرشد) :

- « تذكر يا (تختخ) .. أن الحياة كلها أمامك ..
لا تحب ما تجد بل أوجد ما تحب .. »

- « سألتذكر هذا .. »

واتجهت مع المرشد إلى قطار (فانتازيا) ...

★ ★ ★

فى القصة القادمة لن نترك (عبير) عوالم
القصص البوليسية تماما .. بل سنخوض عالما كاملا
من طراز الروايات التى يسميها الإنجليز باسم

whodunit's أى (من فعلها ؟) .. وبالمناسبة لاحظنا
هناك فى تهجى اللفظة الإنجليزية .. إنهم يكتبونها
هكذا كما ينطقونها ..

سيكون كتبنا ذا مذاق خاص ، لو أعطانا الله الأجل
حتى نكتبه ونقرأه ونعيشه .

[تمت بحمد الله]

★ ★ ★

فانتازیا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روایات
بنی الحزین

[illegible]

خمسة منهم .. خمسة لأكثر لكنهم

يعرفون أسرار الجريمة كلها ، ويعرفون
كيف يكافحونها ، وكيف يبحثون عن
الأدلة ويستجوبون الشهود .. خمسة
منهم لكنهم يملكون مواهب (بوارو) و
(هولمز) و (مس ماربل) وكل مخبر آثار
إنهارنا بذكائه الخارق ..

خمسة منهم .. فجرب أن تكون

بیادستہم ..



د. احمد خالد توفيق

١٥٠
الخص في محضر
ومبايعاته على الدار الأمريكي
في منائر الدول العربية والعالم

القاسم
المؤسسة العربية الحديثة

للصالح والمفسد والنور والظلم
٢٠٨٩١٩٧ ١٨٢٠٠٠٤ ٤٩٠٨٤٠٠
٢٨٩٧٠٠٢

مطاع
الطبيب